# صَوْبُ الوَسْمِيِّ

## بِالتَّعْلِيقِ عَلَى هَائِيَّةِ الحَكَمِيِّ

القصيدة للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي

رحمة الله عليه



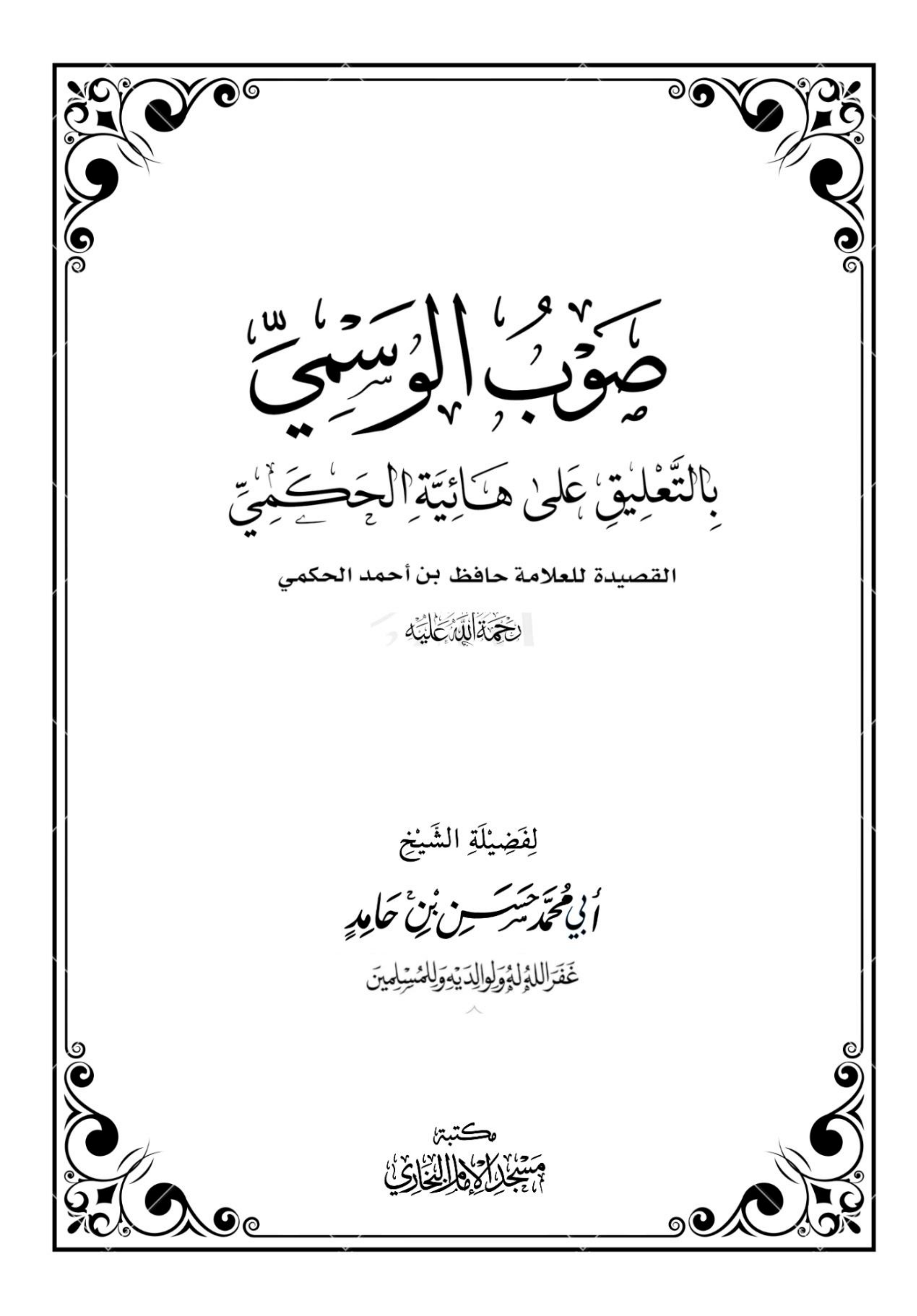

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبِي مُحَمَّدٍ حَسَنِ بْنِ حَامِدٍ

إمام ومدرس بمسجد الإمام البخاري

باللاماب ناصر - الخرطوم



# صَوْبُ الوَسْمِيّ

## بِالتَّعْلِيقِ عَلَى هَائِيَّةِ الحَكَمِيِّ

القصيدة للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي

رحمة الله عليه


لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ

**أَبِي مُحَمَّدٍ حَسَنِ بْنِ حَامِدٍ**

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين



مكتبة

مسجد الإمام البخاري


بسم الله الرحمن الرحيم

## (❖ القَصِيْدَةُ الهَائِيَّةُ فِي الزُّهْدِ وَالتَّرْغِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ ❖)

للعلاَّمة حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللهُ

مَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ بِبُغْيَتِيْ ... وَلَا مُنْتَهَى قَصْدِيْ وَلَسْتُ أَنَا لَهَا

ولَسْتُ بِمَيَّال إِلَيْهَا وَلا إِلَى ... رِئَاسَتُهَا نَتْنًا وَقُبْحًا لِحَالَهَا

هِيَ الدَّارُ دَارُ الهَمِّ وَالغَمِّ وَالعَنَا ... سَرِيْعٌ تَقَضِّيْهَا قَرِيْبٌ زَوَالُهَا

مَيَاسِيْرُهَا عُسْرٌ وَحُزْنٌ سُرورُهَا ... وَأَرْبَاحُهَا خُسْرٌ وَنقْصٌ كَمَالُهَا

إِذَا أَضْحَكَتْ أَبْكَتْ فَإِنْ رَامَ وَصْلَهَا ... غَبِيٌّ فَيَا سُرْعَ انْقِطَاعِ وَصْالِهَا

فَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَحُوْلَ بِحَوْلِهِ ... وَقُوَّتِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ اغْتِيَالِهَا

فَيَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيْئَةِ جَاهِدًا ... أَلَا اطْلُبْ سِوَاهَا إِنَّهَا لَا وَفَا لَهَا

فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ حَرِيْصٍ وَمُشْفِقٍ ... عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفَرْ بِهـا أَنْ يَنَالَهَا

لَقَدْ جَاءَ فِي آيِ «الحَدِيْدِ» «وَيُوْنُسٍ» ... وَفِي «الكَهْفِ» إِيْضَاحٌ بِضَرْبِ مِثَالِهَا

وفِي «آلِ عِمْرَانِ» وَسُوْرَةِ «فَاطِرِ» ... وَفِي «غَافِرٍ» قَدْ جَاءَ تِبْيَانُ حَالِهَا

وفِي سُوْرَةِ «الأَحْقَافِ» أَعْظَمُ وَاعِظٍ ... وَكَمْ مِنْ حَدِيْثٍ مُوْجِبٍ لِاعْتِزَالِهَا

لَقَدْ نَظَرُوْا قَوْمٌ بِعَيْنٍ بَصِيْرَةٍ ... إِلَيْهَا فَلَمْ تَغْرُرْهُمْ بِاخْتِيَالِهَا

أُوْلَئِكَ أَهْلُ الله حَقًّا وَحِزْبُهُ ... لَهُمْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ إِرْثًا وَيَا لَهَا

وَمَالَ إِلَيْهَا آخَرُوْنَ لِجَهْلِهِمْ ... فَلَمَّا اطْمَأَنُّوْا أَرْشَقَتْهُمْ نِبَالُهَا

أُوْلَئِكَ قَوْمٌ آثَرُوْهَا فَأَعْقَبُوا بِهَا ... الخِزْيِ فِي الأُخْرَى وَذَاقُوْا وبالها

فَقُلْ لِلَّذِيْنَ اسْتُعْذِبُوهَا : رُوَيْـدَكُمْ ... فَيَنْقَلِبَ السَّمُّ النَّقِيْعَ زُلَالُهَا

لِيَلْهُوْا وَيَغْتَرُّوا بِهَا مَا بَدَا لَهُمْ ... مَتَى تَبْلُغِ الحُلْقُوْمَ تُصْرَمُ حِبَالُهَا

وَيَوْمَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِكَسْبِهَا ... تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَنِيْهَا وَمَالَهَا

وَتَأْخُذُ إِمَّا بِاليَمِيْنِ كِتَابَهَا ... إِذَا أَحْسَنَتْ، أَوْ ضِدَّ ذَا بِشِمَالِهَا

وَيَبْدُوْ لَدَيْهَا مَا أَسَرَّتْ وَأَعْلَنَتْ ... وَمَا قَدَّمَتْ مِنْ قَوْلِهَا وَفِعَالِهَا

بِأَيْدِي الكِرَامِ الكَاتِبِيْنَ مُسَطَّرٌ ... فَلَمْ يُغْنِ عَنْهَا عُذْرُهَا وَجِدَالُهَا

هُنَالِكَ تَدْرِي رِبْحَهَا وَخَسَارَهَا ... وَإِذْ ذَاكَ تَلْقَى مَا إِلَيْهِ مَآلُهَا

فَإِنْ تَكُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ والتُّقَى ... فَإِنَّ لَهَا الحُسْنَى بِحُسْنِ فِعَالِهَا

تَفُوْزُ بِجَنَّاتِ النَّعِيْمِ وَحُوْرِهَا ... وَتُحْبَرُ فِي رَوْضَاتِهَا وَظِلَالِهَا

وَتُرْزَقُ مِمَّا تَشْتَهِي مِنْ نَعِيْمِهَا ... وَتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيْمِهَا وَزُلَالِهَا

وَإِنَّ لَهُمْ يَوْمَ المَزِيْدِ لَمَوْعِدًا ... زِيَادَةَ زُلْفَى، غَيْرُهُمْ لَا يَنَالُهَا

وُجُوْهٌ إِلَى وَجْهِ الإِلَهِ نَوَاظِرُ ... لَقَدْ طَالَ مَا بِالدَّمْعِ كَانَ ابْتِلَالُهَا

تَجَلَّى لَهَا الرَّبُّ الرَّحِيْمُ مُسَلِّمًا ... فَيَزْدَادُ مِنْ ذَاكَ التَّجَلِّي جَمَالُهَا

بِمَقْعَدِ صِدْقٍ حَبَّذَا الجَارُ رَبُّهُمْ ... وَدَارِ خُلُوْدٍ لَمْ يَخَافُوا زَوَالَهَا

فَوَاكِهُهَا مِمَّا تَلَذُّ عُيُوْنُهُمْ ... وَتَطَّرِدُ الأَنْهَارُ بَيْنَ خِلَالِهَا

عَلَى سُرُرٍ مَوضُوْنَةٍ ثُمَّ فُرْشُهُمْ ... كَمَا قَالَ فِيْهَا رَبُّنَا وَاصِفًا لَهَا

بَطَائِنُهَا إِسْتَبْرَقٌ كَيْفَ ظَنُّكُمْ ... ظَوَاهِرُهَا لَا مُنْتَهَى لِجَمَالِهَا

وَإِنْ تَكُنْ الأُخْرَى فَوَيْلٌ وَحَسْرَةٌ ... وَنَارُ جَحِيْمٍ مَا أَشَدَّ نَكَالَهَا

لَهُمْ تَحْتِهِمْ مِنْهَا مِهَادٌ وَفَوْقِهِمْ ... غَوَاشٍ، وَمِنْ يَحْمُوْمٍ سَاءَ ظِلَالُهَا

طَعَامُهُمُ الغِسْلِيْنَ فِيْهَا وَإِنْ سُقُوا ... حَمِيْمًا بِهِ الأَمْعَاءُ كَانَ انْحِلَالُهَا

أَمَانِيُّهُمْ فِيْهَا الهَلَاكُ وَمَا لَهُمْ ... خُرُوْجٌ وَلَا مَوْتٌ كَمَا لَا فَنَا لَهَا

مَحَلِّيْنَ قُلْ لِلنَّفْسِ لَيْسَ سِوَاهُمَا ... لِتَكْسِبَ أَوْ فَلْتَكْسِبْ مَا بَدَا لَهَا

فَطُوْبَى لِنَفْسٍ جَوَّزَتْ وَتَخَفَّفَتْ ... فَتَنْجُو كَفَافًا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، أما بعد؛

فهذا هو العمل الثاني لأخينا الشيخ أحمد مفتي أديب على الدروس التي ألقيناها في مسجد الإمام البخاري باللاماب ناصر - الخرطوم، فقد نقل تعليقاتنا على القصيدة الهائية للعلامة حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من التسجيل الصوتي إلى السّفر الكتابي وضبّطها وخرّج أحاديثها ونسّقها -فجزاه الله خيرًا-.

والقصيدة الهائية قصيدة وجيزةٌ بديعةٌ، في التزهيد في الدنيا وبيان حقيقتها والحث على العمل للآخرة ، والترغيب في نعيم الجنة والترهيب من عذاب النار، نظمها العلامة حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وقد سمّيتُ هذه التعليقات بـ : «صَوْبُ الوَسْمِيِّ بِالتَّعْلِيْقِ عَلى هَائِيَّةِ الحَكَمِيِّ»؛ والوسمي : هو مطر الربيع، والصَّوب : هو المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذي.

**كَتَبَهُ : أبو محمَّد حسنُ بن حَامد**

ليلة تاسوعاء ١٤٤٦ هـ - الرياض ، السعودية

## مقدمة المجلس الأول

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له؛ أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[ آل عمران : ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء : ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كلام الله عَزَّوَجَلَّ ؛ وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد ؛ فسنشرع -إن شاء الله تعالى- بحوله وقوته؛ في التعليق على قصيدة وعظية للعلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي رحمه الله.

وهذه القصيدة اشتهرت باسم القصيدة «الهائية» لأن قافيتها تنتهي بحرف الهاء ، وموضوعها في الزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة، وذكر في آخرها شيئا من صفات الجنة والنار.

وهذه القصيدة تقع في ثمانية و ثلاثين بيتا؛ فهي قصيدة موجزة لكنها قصيدة عظيمة النفع، وموضوعها كما ذكرت لكم ؛ في الحث على الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها.

وهذا الأمر، وإن كان يعرض لكثير من المسلمين؛ وهو الاغترار بالدنيا والتعلق بها واستيلاء حبها على القلب، لكن ما أقبح أن يقع في شراك الدنيا العلماء وطلاب العلم؛ لأن عندهم المادة العلمية التي تعصمهم بإذن الله عن ذلك.

فإذا اغتروا بالدنيا وصاروا عُبّادا لها ، ساعين في طلبها وجمعها، فالأمر كما جاء في الأبيات التي كتبها الإمام الحنظلي عبد الله ابن المبارك إلى إسماعيل ابن علية.

إسماعيل ابن علية هذا حافظ من الحفاظ[1]؛ وابن المبارك إمام كبير، وهو ممن جمعت فيه خصال كثيرة من خصال الخير؛ فكان عالما، محدثا، مجاهدا غازيا ، تاجرا، منفقا، محسنا إلى المسلمين.

وكان من جملة مآثر عبدالله بن مبارك ، أنه كان ينفق على جماعة من طلبة العلم؛ كان يعولهم وينفق عليهم، ومن جملة من كان ينفق عليهم ابن المبارك إسماعيل ابن علية.

فبلغ ابن المبارك أن إسماعيل ابن علية تولى شيئا من أمر السلطان، فكتب إليه بأبيات وصفها الذهبي ﵀ في ترجمة إسماعيل بأنها أبيات حسنة[2].

قال له :

يَا جَاعِلَ العِلْمِ لَهُ بَازِيًا ... يَصْطَادُ أَمْوَالَ المَسَاكِيْنِ

احْتَلْتَ لِلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا ... بِحِيْلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّيْنِ

فَصِرْتَ مَجْنُوْنًا بِهَا بَعْدَمَا ... كُنْتَ دَوَاءً لِلمَجَانِيْنِ

---

(١) قال عنه الذهبي في السير (٩/ ١٠٨) : إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم ، الإمام ، العلامة، الحافظ ، الثبت أبو بشر الأسدي. توفي سنة ١٩٣ هـ

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٨) ط مؤسسة الرسالة- ٢٠٠١ م

هذا موضع الشاهد، أن العالم قد يغتر بالدنيا ويمرض بحبها ويصير مجنونا مع كونه معه دواء المجانين؛ ثم قال :

أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِيْهَا مَضَى عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيْرِيْنِ؟
وَدَرْسُكَ الْعِلْمَ بِآثَارِهِ فِي تَرْكِ أَبْوَابِ السَّلاَطِيْنِ؟
تَقُوْلُ: أُكْرِهْتُ، فَمَاذَا؟ كَذَا زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطِّيْنِ
لاَ تَبِعِ الدِّيْنَ بِالدُّنْيَا كَمَا يَفْعَلُ ضُلاَّلُ الرَّهَابِيْنِ

فاشتد ذلك على إسماعيل ابن علية وطلب أن يُعفى من القضاء؛ فاستفاد من موعظة ابن المبارك رحمهما الله.

ما أقبح أن يغتر عالم أو طالب علم بالدنيا.. !

وأقبح منه أن يتوصل إلى الدنيا بالعلم وأن يجعل العلم سبيلا لنيل حطامها فيوظف العلم لجمع الدنيا.

والزهد في الدنيا أعظمه أن يكون مع كثرة المال، فليس الزهد في الدنيا هو الفقر والتقلل كما يظنه بعض الناس، قد يكون الإنسان غنيًا وصاحب مال، لكن ماله لا يفارق يده ليدخل قلبه ، فلا يشغله المال عن ما خُلق لأجله من طاعة الله وعبادته؛ بل يستعمل هذا المال ليطيع ربَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولينصر هذا الدين.

ولهذا جاء عن الحسن البصري رحمه الله ورواه الإمام أحمد بإسناده أنه قال: «اهِينُوا الدّنيا، فوالله لأهنأ ما تكُون إذا أهنتها».[1]

هكذا كان يقول السلف.

ويقول الإمام أحمد رحمه الله: «عزيز عليَّ أن تذيب الدنيا أكبَاد رجَالٍ وعتْ صدورهم القُرآن». اهـ

«عزيز عليَّ» يعني: يشتدُّ علي؛ ويشقُّ علي أن أرى علماء وعت صدورهم كتاب الله، ولكنهم وقعوا صرعى لفتنة الدنيا وتلطخوا بها.

وابن حبان روى بإسناده عن محمد بن عبد الله العراقي أنه أنشد فقال:

عَنُوا يَطْلُبُونَ العِلمَ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... شَبَابًا فَلَمَّا حَصَّلُوْه وَحَشَّرُوا

وَصَحَّ لَهُم إسنَادُه وَأُصُولُه ... وَصَارُوا شُيُوخًا ضَيَّعُوه وَأَدْبَرُوا

ومَالُوا عَلَى الدُّنيَا فَهُم يَحْلِبُوْنَهَا ... بِأَخْلَافِهَا مَفْتُوْحُهَا لَا يُصَرَّرُ

فيَا عُلَمَاءَ السُّوءِ أَيْنَ عُقُولُكُمْ ... وَأَيْنَ الحَدِيْث الْمُسْنَدُ الْمُتَخَيَّرُ[2]

---

(١) سير الأعلام النبلاء (٤/ ٥٨٠) والزهد للإمام أحمد.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١/ ٣٦) ابن حبان ت (٣٥٤)

إذاً -بارك الله فيكم- احذروا الدنيا؛ وليس معنى هذا أن تتركوا السعي لطلب المال من حلّه الذي يكفكم عن الذل بطلب المال من الناس ومن الحكومات.

لأن بعض السلف كسفيان كان يعمل في التجارة؛ ويقول : «لولا هذا المال لتمندل بنا هؤلاء» أي لصرنا مثل المناديل، والمنديل ماذا يصنع به ؟!

يأكل الواحد فيأخذ المنديل الورقي، يمسح به فمه من الأكل ويرمي به ، فيتلاعبون بك ويذلونك !.

## ترجمة مختصرة للعلامة حافظ الحكمي رحمه الله

✍ **اسمه ونسبه :**

حافظ بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي ؛ والحكمي نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة من مذحج؛ أشهر وأعظم قبيلة من شعب كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان.

✍ **ولادته ونشأته :**

ولد رحمه الله بقرية السلام عام ١٣٤٢هـ، التابعة لمدينة المضايا عاصمة الحكامية، ثم رحل به أبوه مع إخوانه إلى قرية الجاضع بني شبيل التابعة لصامطة.

وقد نشأ رحمه الله بهذه القرية حتى كبر، وكان راعياً لغنم والديه حتى بلغ رشده ، فقرأ القرآن بمدرسة أهلية حتى ختم القرآن وهو راع للغنم، وتعلم الكتابة وكان خطه جيداً، وقد نشأ في أسرة صالحة مشهورة بالصلاح والخير.

✍ **طلبه للعلم :**

ولم يَدرس العلم على أحد سوى الشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله بصامطة، ولم يسافر إلى بلد لطلب العلم سوى مدينة صامطة، إلا أنه

لما طلبه الشيخ عبد الله إلى مكة وزوجه ابنته عام ١٣٦٧هـ كان يقرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي بالحرم مدة إقامته بمكة رحمهم الله.

✍ **مؤلفاتــه :**

كان الشـيخ حافظ عالماً بارعاً في جلّ العلوم، وقد صـنّف فيها نثراً ونظماً، والحقيقة أنه لم يكن له نظير في زمانه في تلك المناطق، وقد حوى هذا العلم الغزير في وقت قصير لذكائه الوقاد.

وله مؤلفات في فنون عديدة؛ ومن هذه المؤلفات :

١) **سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله، وإتباع الرسول**
٢) **معارج القبول شرح سلم الوصول. في مجلدين.**
٣) **المنظومة الميمية في الوصايا العلمية.**
٤) **نيل السول في تاريخ الأمم وسيرة الرسول .**
٥) **وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول، في أصول الفقه**
٦) **السبل السوية في فقه السنن المروية، في الفقه.**
٧) **أعلام السنة المنشورة باعتقاد الطائفة الناجية المنصورة سؤال وجواب في التوحيد.**
٨) **وغيرها من المؤلفات.**

✍ **زهده وورعه :**

كان ﵀ زاهداً عن الدنيا عازفـًا عنها، همه وهمته في طلب العلم وتعليمه وبيانه للناس قولاً وعملاً، ومن زهده لم يشغل نفسه بالدنيا ولا بحطامها ولا بجمع المال منها.

ولما تعين مديراً للمعهد كان يصرف راتبه على أهله وعلى الطلاب والفقراء، بل كان بعض الفقراء له مقرر أسبوعيـًا يأخذه من الشيخ كل أسبوع.

وقد زوجه الشيخ عبد الله بابنته عام ١٣٦٧هـ وزوجه أيضـًا على زوجتين خلاف ابنته حبـًا له وإكرامـًا لما يرى فيه من علم وحياء وأدب وزهد عن الدنيا.

✍ **وفاته :**

وفي عام ١٣٧٣هـ حج مع الشيخ عبد الله القرعاوي وجملة من الإخوان فأصابته ضربة الشمس وعلى أثرها مرض وتوفي يوم السبت الموافق ١٨/ ١٢/ ١٣٧٧هـ الساعة الثالثة والنصف بعد أن قضى مناسك الحج لهذا العام ﵀.

يقول حافظ الحكمي رحمه الله :

**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ بِبُغْيَتِي ... وَلَا مُنْتَهَى قَصْدِي وَلَسْتُ أَنَا لَهَا**

**وَلَسْتُ بِمَيَّالٍ إِلَيْهَا وَلا إِلَى ... رِئَاسَتِهَا نَتْنًا وَقُبْحًا لِحَالِهَا**

## التعليق

من حسن استهلاله رحمه الله أنه أخذ لفظا ورد في حديث عن النبي ﷺ، فإنه ثبت في مسند الإمام أحمد : «أن النبي ﷺ اضطجع على حصير وقد أثَّر في جنبه، فدخل عليه عمر رضي الله عنه وتأثر لما رأى النبي ﷺ -وهو أفضل البشر-؛ فقال يا رسول الله : لو اتخذت فراشا آثر من هذا ! ؛ فقال له رسول الله ﷺ : **«مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»**.[1]

الله عَزَّوَجَلَّ يقول : ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ١١٣﴾ [المؤمنون : ١١٢-١١٣].

هذه الدنيا كسحابة الصيف وكحلام الطيف؛ وعليك أن تجعلها قنطرة ومعبرا للآخرة؛ كما جاء عن المسيح عليه السلام فيما رواه علماؤنا في

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (٣٧٠٩) مطولاً

كتب الزهد أنه قال: «**اجعَلوا الدُّنْيَا قَنْطَرَةً فاعْبَرُوهَا ولا تَعْمَرُوهَا**».[1]

**وقوله**: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ بِبُغْيَتِيْ**»؛ البغية هي المطلب؛ أي وليست مطلبا لي «**وَلَا مُنْتَهَى قَصْدِيْ وَلَسْتُ أَنَا لَهَا**»؛ أي لستُ من أهلها.

جاء في «صحيح البخاري» معلقا بصيغة الجزم أن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: «**ألا إنَّ الدُّنيا قد ولَّت مدبرةً والآخرةُ مقبلةٌ ولِكلٍّ واحدةٍ منهما بنونَ فَكونوا من أبناءِ الآخرةِ ولا تَكونوا من أبناءِ الدُّنيا فإنَّ اليومَ عملٌ ولا حسابٌ وغدًا حسابٌ ولا عملٌ**»[2].

**يقول**: «**ولَسْتُ بِمَيَّال إِلَيْهَا وَلا إِلَى .. رِئَاسَتُهَا نَتْنًا وَقُبْحًا لِحَالِهَا**»؛ أنا لست محبا لهذه الدنيا، ولست ميَّالا لها ولا إلى رئاستها؛ هذا لأن بعض العلماء ربما نجا من فتنة المال، لكنه لا ينجو من فتنة الرئاسة.

ولهذا جاء عن بعض السلف قال: «آخِرُ مَا يَخْرُجُ مِنْ قُلُوْبِ الصِّدِّيقين حُبُّ الرِّئَاسَةِ».[3]

---

(١) انظر مختصر منهاج القاصدين (١/ ١٩٣) نجم الدين المقدسي

(٢) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم قبل حديث (٦٤١٧)

(٣) الإعتصام للشاطبي (١/ ١٩٧).

والمشتغلون بالعلم ربما تنافسوا على الرئاسة كما تتنافس الذئاب على الغنم في الزرائب ، أي : إذا جئت بذئاب وأطلقتها على زريبة غنم ؛ كيف سيكون الحال ؟! افتراس وتنازع شديد.

ولهذا جاء عند «أصحاب السنن» في الحديث الذي شرحه ابن رجب ﵀ في رسالة مفردة «مَا ذِئْبَانِ جَائعِانِ» يقول النبي ﷺ : «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لها من حِرصِ المرءِ على المالِ والشَّرَفِ لِدِينِهِ**».[1]

من أعظم أسباب هذه الفتن التي أصابت المسلمين ومزقت أخوتهم وفرقت جمعهم ؛ هي حب الشرف في الدين، والشرف المراد به : الرئاسة ؛ أن تكون إمامًا، ومتصدِّرا، ومنظورا إليه؛ -وهذه مصيبة كبيرة- والله أعلم.

**قال** : «**وَلَسْتُ بِمَيَّال إِلَيْهَا وَلا إِلَى .. رِئَاسَتُهَا نَتْنًا وَقُبْحًا لِحالِهَا**»؛ «النَّتْنُ» هو : الشيء القبيح ذوالرائحة الكريهة؛ وهذا قد يكون ثناء على النفس؛ والثناء على النفس إن احتيج إليه ليس بمنهي عنه.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (١٥٧٩٤)

وقد يظهر -والله أعلم- أن الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله كأنه أُريد منه أن ينافس على بعض المناصب الكبيرة، فاحتاج أن يعبر عن رفضه لذلك بهذه القصيدة الوعظية النافعة.

واعلم أنك لا تنجو من الدنيا إلا بتوفيق من الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا**»[1].

وسيذكر المصنف رحمه الله بإشارة لطيفة بعض الآيات التي جاءت في كتاب الله في ذم الدنيا، وإلى بعض الأحاديث نتكلم عنها -إن شاء الله تعالى- في موضعها.

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٢٣٤)، والطبراني في «الدعاء» رقم (١٩١١).

قال ﵀ :

هِيَ الدَّارُ دَارُ الهَمِّ وَالغَمِّ وَالعَنَا     سَرِيْعٌ تَقَضِّيْهَا قَرِيْبٌ زَوَالُهَا

مَيَاسِيْرُهَا عُسْرٌ وَحُزْنٌ سُرُورُهَا     وَأَرْبَاحُهَا خُسْرٌ وَنقْصٌ كَمَالُهَا

## التعليق

«العَنَا» : هو التعب.

وهذه الدنيا ليست دار فرح؛ بل هي دار ترح وحزن.

كما قال الحريري :

يَا خاطِبَ الدّنيا الدّنِيّةِ إنّها     شَرَكُ الرّدى وقَرارَةُ الأكْدارِ

دارٌ متى ما أضْحكتْ في يومِهَا     أبْكَتْ غدًا بُعْدًا لها مِنْ دارِ[1]

هذه الدار تضحكك وتبكيك، كما قال ابن مسعود ﵁ : «**وما من بيتٍ مُلِئ فرَحًا إلا مُلِئَ تَرَحًا**»[2]، فالذي يركن إلى الدنيا، هذا قد ركن إلى جدار منهدم.

«سَرِيْعٌ تَقَضِّيْهَا قَرِيْبٌ زَوَالُهَا» ؛ يعني أنها سرعان ما تنقضي وتزول، لا تبقى.

---

(١) مقامات الحريري ١/ ٢٢٣ — الحريري (ت ٥١٦)

(٢) الاعتبار وأعقاب السرور (١/ ٢٩) ابن أبي الدنيا

ولهذا الإنسان مهما وُسِّع عليه في الدنيا، فإن الموت ينتظره؛ مع ما يصيبه من أحزان وهموم وأمراض.

وهل الغنى يدفع الأمراض عن الإنسان ؟!

ما يدفع الأمراض عن الإنسان !

وكذلك لا يدفع الهموم والغموم !

وما الذي يدفعها !؟

الذي يدفع عنك الهموم والغموم هو حب الله عَزَّوَجَلَّ وذكره ، قال عَزَّوَجَلَّ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد : ٢٨].

**قال** : «**مَيَاسِيْرُهَا عُسْرٌ وَحُـــزْنٌ سُرورُهَا**» ؛ هذا بيان لحقيقة الدنيا، يسرها مشوب بالعسر وسرورها مشوب بالحزن؛ وأرباحها هي الخسر، ولهذا يقول النبي ﷺ كما في الحديث المتفق على صحته : «**إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَومَ القِيامَةِ، إلّا مَن أعْطاهُ اللهُ خَيْرًا، فَنَفَحَ فيه يَمِينَهُ وشِمالَهُ، وبيْنَ يَدَيْهِ ووَراءَهُ، وعَمِلَ فيه خَيْرًا**»(١).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤)

أصحاب الأموال الطائلة هم الأقلون يوم القيامة، إلا من بذل هذا المال في سبيل الله ﷻ.

«**وَأَرْبَاحُهَا خُسْرٌ وَنَـقْصٌ كَمَالُهَا**»؛ هذا إخبار عن حقيقة الدنيا، وأن من انشغل بها نقص دينه بل ربما خسره ؛ لأن الدنيا والآخرة ضرَّتان.

وجاء في الحديث : «**حُلْوَةُ الدنيا مُرَّةُ الآخرةِ، ومُـــــرَّةُ الدنيا حُلْوَةُ الآخرةِ**».[1]

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٥٠)، والحاكم (٧٨٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٣٦) .

قال رحمه الله :

إِذَا أَضْحَكَتْ أَبْكَتْ فَإِنْ رَامَ وَصْلَهَا غَبِيٌّ فَيَا سُرْعَ انْقِطَاعِ وَصَالِهَا
فَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَحُوْلُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ اغْتِيَالِهَا

## التعليق

«إِذَا أَضْحَكَتْ أَبْكَتْ»، أي إذا أضحكت لا بد أن تبكيك.

من الذي استقامت له الدنيا ؟!

لا أحد تستقيم له الدنيا.

ولهذا ثبت في «صحيح البخاري» أن النبي ﷺ لما نزل به الموت قالت ابنته فاطمة : وا كرب أبتاه !؛ -تقول ذلك متحزنة- فقال لها رسول الله ﷺ : «لَيْسَ عَلَى أَبِيْكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَومِ».(١)؛ لأنه سيموت ويفارق دار الكرب.

هذه دار الكرب، ودار الأحزان، ودار الهموم، ودار الغموم، كما قال ربُّنا عَزَّوَجَلَّ : ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩﴾ [طه : ١١٨-١١٩]؛ هذه الجنة، بخلاف الدنيا.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٢) وابن ماجة (١٢٦٩) وابن حبان (٦٦١٣) وأحمد (١٢٤٣٤)



ولهذا قال: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ۝١١٧﴾ [طه: ١١٧] يعني إذا خرجت من الجنة إلى الدنيا لابد أن يصيبك الشقاء.

وإنك لا تنجو من هذا الشقاء إلا بماذا ؟

بالإيمان، والعمل الصالح، والإقبال على القرآن؛ قال ﷻ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١-٢]؛ فلا شقاء مع القرآن، إلا الشقاء الذي يصيب من يصيبه حر الشمس.

هل تنجو من حر الشمس ؟!

لا؛ فالصالح يصيبه شقاء الدنيا كما يصيبه حر الشمس.

**قال**: «**فَــإِنْ رَامَ وَصْلَهَا .. غَبِيٌّ فَيَا سُرْعَ انْقِطَاعِ وَصَالِهَا**»؛ الذي يحرص على الدنيا ويحبها غبيٌّ.

هذا موصوف بأنه غبي لماذا ؟

لأنه قدوصفها رب العزة والجلال وأبان عن حقيقتها؛ وعن سرعة انقضائها وتصرمها، فهل يرغب فيها بعد ذلك عاقل ؟!

ولهذا قال بعض السلف: «إن هذا الموت قد نَغَّص على أهل النَّعِيْمِ نَعِيمَهم، فاطلبوا نعيمًا لا موتَ فيه».[1]

---

(١) «الزهد» لأحمد (٢٩٢)، و«الحلية» (٢/ ٢٠٤) من كلام مطرف بن عبد الله.

رجل عنده أموال طائـــلة؛ هل سينجو من الموت، أو سيُؤخر عنه الموت ؟!

أبدًا.

يقول ابن القيم رحمه الله : «وإنَّ سـرور الدُّنيا أحلام نومٍ أو كظلٍّ زائلٍ؛ إن أضـحكَتْ قليلًا أبكَتْ كثيرًا، وإن سـرَّت يومًا ساءت دهرًا، وإن متَّعت قليلًا منعت طويلًا، وما ملأت دارًا حَبْرَة إلا ملأتها عَبْرةً، ولا سرَّته بيوم سرورٍ إلا خبَّأت له يومَ شرورٍ».[1]

وقال ابن سيرين رحمه الله : «ما كان ضحك قط قط إلا كان من بعده بكاء».[2]

لكن هذه الحقائق التي ذكرنا بعضها؛ ما العبرة منها ؟

هل العبرة أن نكون حزينين متشائمين ؟

لا...،

العبرة ألا نغتر بالدنيا؛ لنكون عبيدا لها، وأن نحرص على الآخرة وأن نطلبها بطاعة الله وعبادته.

---

(١) انظر المعاد في هدي خير العباد – ط عطاءات العلم ٤/ ٢٧٢

(٢) الاعتبار وأعقاب السرور لابن أبي الدنيا ١/ ٣٠ — ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١)

وقد مر معنا؛ عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه أنه قال : «**إنَّ الدُّنيا قد ولَّت مدبرةً والآخرةُ مقبلةٌ ولِكلٍّ واحدةٍ منهما بنونَ فكونوا من أبناءِ الآخرةِ ولا تَكونوا من أبناءِ الدُّنيا**».

اهتموا بمنزلتكم في الآخرة كيف ستكون ؟!

ولهـــذا جاء في الحديث الصحيح : فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسـمك غدا، هذا أحد ألفاظ حديث ابن عمر رضي الله عنهما : «**كُنْ فِي الـــدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ عَـــابِرِ سَبِيْلٍ**». في بعض الألفاظ «**فَإِنَّكَ يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَدْرِي مَا اسمُكَ غَدًا**».[1] أتكون شقيا أم تكون سعيدا !؟

**قال** : «**فَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَحُوْلُ بِحَوْلِهِ .. وَقُوَّتِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ اغْتِيَالِهَا**».

**الإغتيال** : هو القتل خفية، أي أسأل ربي ألا تغتالني الدنيا، وألا تهلكني، وألا تفتني بحسنها.

الدنيا لها زخرف؛ ولها بهجة وفتنة، ربما أعجب بحسنها؛ لكن ما حقيقتها ؟، حقيقة الدنيا وحقيقة حسنها؛ كرجل زفّت إليه عجوز حُسّنت بالأصباغ والزينة.

(١) صحيح الترغيب (٣٣٤١) أخرجه البخاري (٦٤١٦) مختصراً

عجوز شوهاء قبيحة المنظر والمخبر، غدّارة بالأزواج، تزيّنت للخُطّاب بكل زينة، وسترت كل قبيح، فاغتر بها من لم يجاوز بصره ظاهرها، فطلب النكاح، فقالت : لا مهر إلا نقد الآخرة، فإنا ضرّتان واجتماعنا غير مأذون فيه ولا مستباح. فآثر الخاطب العاجلة وقال : ما علي من واصل حبيبته من جناح، فلما كشف قناعها وحلّ إزارها إذا كل آفة وبليّة.»[1]

ابن القيم ﷺ ذكر أمثالا من السنة وغيرها تُبين حقيقة الدنيا في كتابه «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين».

ومن أحسن الأمثال التي ذكرها ؛ قال : «مَثَلُ قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة، فأمرهم الملاّح بالخروج لقضاء الحاجة، وحذرهم الإبطاء وخوّفهم مرور السفينة، فتفرّقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خاليًا، فأخذ

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما كما في «ذم الدنيا» : «يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوّه خلقها، فتشرف على الخلائق، فيُقال: تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه. فيُقال: هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها، بها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثمّ تُقذف في جهنّم فتقول: يا رب أين أتباعي وأشياعي. فيقول الله : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها». اهـ

أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده. وتوقف بعضهم في الجزيرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة، ويسمع نغمات طيورها، ويعجبه حسن أحجارها، ثم حدّثته نفسه بفوت السفينة وسرعة مرورها وخطر ذهابها، فرجع فلم يصادف إلا مكانًا ضيقًا فجلس فيه.

وأكبّ بعضهم على تلك الحجارة المستحسنة والأزهار الفائقة فحمل منها حِمْلَه، فلما جاء لم يجد في السفينة إلا مكانًا ضيّقًا، وزاده ما حَمَلَه ضيقًا، فصار محموله ثقلًا عليه ووبالًا، ولم يقدر على نبذه، بل لم يجد من حمله بدًّا ولم يجد له في السفينة موضعًا، فحمله على عنقه وندم على أخذه فلم تنفعه الندامة، ثم ذبلت الأزهار وتغيّرت رائحتها وآذاه نتنها.

وتولّج بعضهم في تلك الغياض ونسي السفينة وأبعد في نزهته، حتى إن الملّاح نادى بالناس عند دفع السفينة فلم يبلغه صوته لاشتغاله بملاهيه، فهو تارة يتناول من الثمر، وتارة يشمّ تلك الأنوار، وتارة يُعجب من حسن الأشجار، وهو على ذلك خائف من سبع يخرج عليه، غير منفك من شوك يتشبّث بثيابه ويدخل في قدميه، أو غصن يجرح بدنه، أو عوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته، أو صوت

هائل يفزعه. ثم من هؤلاء من لحق السفينة ولم يبقَ فيها موضع فمات على الساحل، ومنهم من شغله لهوه فافترسته السباع ونهشته الحيّات، ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك[1]». اهـ

هذا حالنا مع الدنيا، ولهذا جاء في حديث: «**إنَّ أمامَكمْ عَقبَةٌ كؤُدًا لا يَجُوزُها المُثقِلُونَ**».[2]

قال الله تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤﴾ [البلد: ١١-١٤].

(أسأل الله أن يصلح قلوبنا).

إذاً؛ أنت لن تنجو من الدنيا إلا بأن تلجأ إلى ربّك سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

لهذا قال الناظم رحمه الله: «**فَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَحُولَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ.. بَيْنِي وَبَيْنَ اغتِيَالِهَا**».

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين - ط عطاءات العلم (١/ ٤٤٦)

(٢) الحاكم، المستدرك على الصحيحين (٨٩٣٩)



قال ﵀ :

فَيَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيْئَةِ جَاهِدًا     أَلَا اطْلُبْ سِوَاهَا إِنَّهَا لَا وَفَا لَهَا
فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ حَرِيْصٍ وَمُشْفِقٍ     عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا أَنْ يَنَالَهَا

## التعليق

يعظ ﵀ وينصح طالب الدنيا الدنيئة الحقيرة؛ الذي أتعب نفسه في طلبها ، ويخاطبه بقوله : إياك أن تغتر بها ؛ فإنها تخونك أحوج ما تكون إليها.

فإنها ليس لها وفاء !

أيها المسلم طلّق الدنيا وارغب في الآخرة !

اعمل للآخرة؛ وكن من أبناءها !

أما الدنيا فإنها لا وفاء لها، ولن تتمكن من نيلها.

إذ إنك كلما عدوت وأسرعت وراءها؛ وأزددت عليها حرصًا ازدادت منك بُعدًا..!

وذلك كما قال ﷻ : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧﴾ [العلق : ٦-٧].

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : «منهومان لا يشبعان؛ صاحب علم، وصاحب دنيا، وهما لا يستويان ، فأمّا صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن، ثم قرأ : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ وأمّا صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، ثم قرأ : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾».[1]

وحتى لو نلت من متاع الدنيا كثيرًا، فالمنغصات كثيرة، فالموت لك بالمرصاد، والأمراض لك بالمرصاد، والآلام لك بالمرصاد.

بعض أصحاب الأموال الذين تصيبهم الأمراض الخطيرة يسافرون طلبًا للعلاج، فإن كانوا متعلقين ببلدهم رجعوا إلى بلدهم جثة هامدة ؛ قد انتزعت أحشاؤهم ويُحملون في توابيت.

هل رد عنهم المال الموت.. !؟

وهل رد عنهم المال المرض.. !؟

لا.

(١) أخرجه ابن الأعرابي في «المعجم» (١٠٠٩)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن» رقم (٤٤٩) واللفظ له.

وقال ﷬ : «فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ حَرِيْصٍ وَمُشْفِقٍ .. عَلَيْهَا فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا أَنْ يَنَالَهَا»

«كَمْ» هنا خبرية للتكثير.

فكثير من طلاب الدنيا الحريصين عليها والمشفقين والخائفين من فواتها لم يظفروا ويحصلوا منها على شيء وإن حصّلوا شيئًا فهم معه في عذاب.

قال الإمام ابن القيم ﷬ في «الداء والدواء» : «فكل من أحب شيئًا غير الله عُذّب به ثلاث مرات في هذه الدار ، فهو يعذب به قبل حصوله حتى يحصل ، فإذا حصل عذب به حال حصوله بالخوف من سلبه وفواته ، والتنغيص والتنكيد عليه ، وأنواع من العذاب في هذه المعارضات ، فإذا سلبه اشتد عليه عذابه ، فهذه ثلاثة أنواع من العذاب في هذه الدار».[1]

(١) الداء والدواء = الجواب الكافي – ط عطاءات العلم (١/ ١٨٥)



**ثم قال رحمه الله :**

**لَقَدْ جَاءَ فِي آيِ «الحَدِيْدِ» «وَيُونُسٍ» وَفِي «الكَهْفِ» إِيْضَاحٌ بِضَرْبِ مِثَالِهَا**
**وفي «آل عِمْرَانِ» وَسُوْرَةِ «فَاطِرٍ» وَفِي «غَافِرٍ» قَدْ جَاءَ تِبْيَانُ حَالِهَا**
**وفي سُوْرَةِ «الأَحْقَافِ» أَعْظَمُ وَاعِظٍ وَكَمْ مِنْ حَدِيْثٍ مُوْجِبٍ لِاعْتِزَالِهَا**

## التعليق

وهذا من جمال هذه القصيدة، أنه رحمه الله ضمنها الإشارة إلى آيات في بيان حقيقة الدنيا.

«**لَقَدْ جَاءَ فِي آيِ الحَدِيْدِ**» يريد قول الله تعالى : ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد : ٢٠]

أي : هي متاع فانٍ، غارٌّ لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وَتُعْجِبه حَتى يعتقِد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءَها، وهي حقيرة قليلةٌ بالنسبة إلى الدَّار الْآخرةِ.

وكذلك في سورة يونس؛ يريد قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ

وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس : ٢٤].

قال : «**وفي الكهف**» يريد قول الله تعالى : ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الكهف : ٤٥].

قال : «**وفي آل عمران**» يريد قول الله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران : ١٨٥].

وأما في سورة فاطر؛ فيريد قول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾ [ فاطر : ٥].

ربنا ﷻ يأمركم ألا تغتروا بالدنيا وألا تُخدعوا ببهجتها وزينتها، وألا يخدعنكم الشيطان؛ فأنت محاط بأعداء.

بالنفس..!

وبالشيطان..!

وبالدنيا..!

وبأصحاب السوء! فعليك أن تحذرهم وتجاهدهم في ذات الله !.

**قال** : «**وفي غافر**»؛ فهو قول الله تعالى : ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾ [غافر : ٣٩].

الدنيا ليست مقرًا بل هي معبر، ولهذا أيضا جاء عن المسيح عيسى عليه السلام أنه قال : «من ذا الذي يبني على موج البحر دارا؛ هي الدنيا فلا تتخذوها قرارا». اهـ

**قال** : «**وفي سورة الأحقاف أعظم واعظ**»؛ كأنه يريد قول الله تعالى : ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠﴾ [الأحقاف : ٢٠].

أو يريد قوله تعالى : ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأحقاف : ٣٥].

**قال** : «**وَكَـــمْ مِنْ حَدِيْثٍ مُوْجِبٌ لِاعْتِزَالِهاَ**»؛ «كَمْ» هنا، خبرية بمعنى التكثير؛ وأحاديث كثيرة تزهد في الدنيا.

ومن جملة هذه الأحاديث؛ ما ثبت عند الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال : «**الدُّنْيَا مَلْعُوْنَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا**».(١)

الدنيا ملعونة تبعد عن الله ﷻ، «**إلا ذكر الله وما والاه**»؛ وما كان متصلا به من طاعة؛ «**وعالما ومتعلما**»، فطلاب العلم على خير، لأنهم قد أثنى عليهم رب العزة وأثنى عليهم رسول الله ﷺ.

كذلك أيضا ثبت في «صحيح مسلم» عن جابرٍ رضي الله عنه : «أَنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ بالسوقِ داخلاً من بعض العالية والناسُ كَنَفَتَيْه، فَمرَّ بجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فتناوَله بأُذُنِهِ، ثُمَّ قال :

**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هذا لَهُ بِدرهَمٍ؟.**

**فقالوا : ما نُحِبُّ أَنَّه لَنا بشَيْءٍ، وما نَصْنَعُ به ؟ قال :**

**تُحِبُّون أَنَّه لَكُمْ ؟!.**

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجة (٤١١٢)، والبيهقي (١٥٨٠)

**قالوا : والله لوْ كان حيّاً لكانَ عَيْباً فيه؛ لأَنَّهُ أسَكُّ، فكيفَ وهو مَيِّتٌ ؟ فقال :**

**والله للدُّنْيا أهْوَنُ على الله مِنْ هذا علَيْكُمْ».**[1]

والنصوص الدالة على التزهيد في الدنيا وعلى بيان حقيقتها كثيرة جدًا؛ لا يمكن أن نحصيها.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٧)، وأبو داود (١٨٦)، وأحمد (١٤٩٣٠)

## مقدمة المجلس الثاني

الحمد لله رب العالمين ؛ حمدا كثيرًا طيبًا مباركا فيه ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد :**

فنواصل التعليق على القصيدة الهائية للعلامة حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ؛ وهي قصيدة وعظية نافعة فيها تحذير من الإغترار بالدنيا، وفيها حض على التزود بالأعمال الصالحة التي ينتفع بها صاحبها يوم لقاء الله سبحانه وتعالى.

وفيها ذكر لمآل الناس في الآخرة؛ حينما ينصرفون بين يدي ربهم عَزَّ وَجَلَّ ؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير.

ولا ريب أن الدنيا في حسنها وزخرفها وبهجتها؛ تمثل خطرًا كبيرًا على المسلم وعلى طالب العلم إذ يُخشى أن يغترّ بها وأن تقطعه دون السير إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فقد ثبت في «الصحيحين» من حديث عمرو بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :
أَنَّ رَسولَ الله ِﷺ بَعَثَ أبا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرّاحِ إلى البَحْرَيْنِ يَأْتي بجِزْيَتِها،

وكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ هو صالَحَ أهْلَ البَحْرَيْنِ، وأَمَّرَ عليهمُ العَلاءَ بنَ الحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أبو عُبَيْدَةَ بمالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأنْصارُ بقُدُومِهِ، فَوافَتْهُ صَلاةَ الصُّبْحِ مع رَسولِ الله ، فَلَمّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا له، فَتَبَسَّمَ رَسولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، وقالَ : أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بقُدُومِ أبِي عُبَيْدَةَ، وأنَّهُ جاءَ بشيءٍ قالوا : أجَلْ يا رَسولَ اللهِ، قالَ :

**«فأبْشِرُوا وأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ، فَواللهِ ما الفَقْرَ أخْشى علَيْكُم، ولَكِنْ أخْشى علَيْكُم أنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيا، كما بُسِطَتْ على مَن كانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنافَسُوها كما تَنافَسُوها، وتُلْهِيكُمْ كما أَلْهَتْهُمْ».**[1]

في الغالب مفسدة الفقر مفسدة دنيوية؛ قد تتمثل في أن تجوع، وألا تتوصل إلى كثير من مطالبك ومن رغباتك، لكن مفسدة الغنى ؛ مفسدة آخروية غالبا.

قوله : «**فَواللهِ ما الفَقْرَ أخْشى علَيْكُم**»؛ أي : فأنا أشد شفقة عليكم من الوالد على ولده، «**والله ما الفقرَ**» ؛ انتصب الفقر على أنه مفعول به مقدم.

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٢٥)



وقوله : «**ولَكِنْ أَخْشى علَيْكُم أَنْ تُبْسَطَ عَلَـــيْكُمُ الدُّنْيا**» أي : أخاف عليكم من هذه الدنيا ، ومن بهجتها ومن جمالها الذي يخدع الأبصـــار ويأخذ بالأبصـــار، فإذا كان الوالد يخشـــى على ولده من الفقر، فأنا أخشى عليكم من الغني.

«**فتنافسوها**»؛ أي تتنافسوا فيها، والمنافسة : هي محبة الإنفراد بالشيء النفيس، وهي شدة الحرص عليه.

والتنافس في الدنيا في الغالب مآله إلى ماذا ؟

إلى الهلاك.

ولهذا الموفق؛ هو الذي يجعل الدنيا في يديه ولا يجعلها في قلبه، اجعل الدنيا في يديك وسخرها لطاعة ربك؛ ولا تعشق الدنيا ، بحيث تكون عبدًا لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ في «مجموع الفتاوى» :

«وَهَذَا جِمَاعُ الشَّرِّ «**الْغَفْلَةُ**» وَ «**الشَّهْوَةُ**»، فَالْغَفْلَةُ عَنِ اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ تَسُدُّ بَابَ الْخَيْرِ الَّذِي هُوَ الذِّكْرُ وَالْيَقَظَةُ، وَالشَّهْوَةُ تَفْتَحُ بَابَ الشَّرِّ وَالسَّهْوِ وَالْخَوْفِ فَيَبْقَى الْقَلْبُ مَغْمُورًا فِيمَا يَهْوَاهُ وَيَخْشَاهُ غَافِلًا

عَنِ اللهِ رَائِدًا غَيْرَ اللهِ سَاهِيًا عَنْ ذِكْرِهِ قَدْ اشْتَغَلَ بِغَيْرِ اللهِ قَدْ انْفَرَطَ أَمْرُهُ قَدْ رَانَ حُبُّ الدُّنْيَا عَلَى قَلْبِهِ.

كَمَا رُوِيَ فِي «صحيح البخَارِي» وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ تَعِسَ عَبْدُ الْقَطِيفَةِ تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ**».[1]

جَعَلَهُ عَبَدَ مَا يُرْضِيهِ وُجُودُهُ، وَيُسْخِطُهُ فَقْدُهُ حَتَّى يَكُونَ عَبْدَ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدَ مَا وُصِفَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَ«**الْقَطِيفَةُ**» هِيَ الَّتِي يُجْلَسُ عَلَيْهَا فَهُوَ خَادِمُهَا، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «الْبَسْ مِنْ الثِّيَابِ مَا يَخْدِمُك وَلَا تَلْبَسْ مِنْهَا مَا تَكُنْ أَنْتَ تَخْدِمُهُ وَهِيَ كَالْبِسَاطِ الَّذِي تَجْلِسُ عَلَيْهِ»، وَ«**الْخَمِيصَةُ**»؛ هِيَ الَّتِي يَرْتَدِي بِهَا وَهَذَا مِنْ أَقَلِّ الْمَالِ».[2]

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٣٦) واللفظ له، وأخرجه البخاري (٢٨٨٧) باختلاف يسير

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٥)

**يقول العلامة حافظ الحكمي** رحمه الله :

لَقَدْ نَظَرُوْا قَــــوْمٌ بِعَيْنٍ بَصِــيْرَةٍ    إِلَيْهَا فَلَمْ تَغْــرُرْهُمْ بِاخْـــتِيَالِهَا

أُوْلَئِكَ أَهْــلُ اللهِ حَقًّا وَحِزْبُــهُ    لَهُمْ جَـنَّةُ الفِرْدَوْسِ إِرْثًـا وَيَـا لَهَا

## التعليق

**قـال** : «لَقَـدْ نَظَرُوْا قَوْمٌ بِعَيْنٍ بَصِــيْرَةٍ»؛ هـذا على لغـة «**أكلوني البراغيـث**»، وتكون «**واو الجماعـة**» إما علامـة على الجمع، وإما أن تكون فاعلا، ويكون «قَوْمٌ» بدلا.

«لَقَدْ نَظَرُوْا قَوْمٌ بِعَيْنٍ بَصِيْرَةٍ .. إِلَيْهَا فَلَمْ تَغْرُرْهُمْ بِاخْتِيَالِهَا» يعني : أن أهل الحق نظروا إلى الدنيا بعين بصيرة، وهي عين قلوبهم، فعرفوا حقيقتها، وعرفوا مآل من ينخدع بها، فلم ينخدعوا بها ولم تغررهم وتخدعهم بحيلها.

**ومن معاني البصيرة** : أنها العلم الذي ينير القلب، فهو للأرواح كالماء للأرض اليابسة، وللقلوب كالضياء للبصر.

**فهي** : العلم الذي تيقن منه صاحبه، بحيث أن هذا العلم كان للقلب بمنزلة البصر للعين ، كما قال تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟

إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾[يوسف: ١٠٨] وهذا فيه إشارة إلى أن من علامات العلم النافع أنه يعصم صاحبه من الإنخداع بالدنيا.

وعليك أن تعلم أن الاغترار بالدنيا أمر خطير؛ مفاسده لا تنحصر في أن الإنخداع بها يصرف الإنسان عن العمل للآخرة، بل من مفاسد الإنخداع بالدنيا والتعلق بها -لا سيما- بالنسبة للعلماء وطلبة العلم؛ أنه ربما باع دينه رغبةً في الدنيا، وربما صار أداة في أيدي أعداء الله.

كم من أناس صاروا أدوات في أيدي أعداء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ !، وما هو السبب ؟!

أنهم يريدون المنزلة..!

ويريدون الرفعة .!

ويريدون الأموال..!

إذ الصبر على الفقر، شيء صعب على النفوس.

إذا كنت عاقلا؛ فأنت تتذكر ما كان عليه رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ يتلوى من الجوع؛ لا يجد من الدّقل ما يملأ به بطنه، والدَّقل هو رديء التمر.

«**أُوْلَئِكَ أَهْلُ اللهِ حَقًّا وَحِزْبُهُ .. لَهُمْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ إِرْثًا وَيَا لَهَا**» ؛ هؤلاء هم الذين لم ينخدعوا بالدنيا وهم أهل الله.

ولله ﷻ أهل كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وغيره وصححه العلامة الألباني أن النبي ﷺ قال : «**إِنَّ لله تَعَالَى أَهْلِيْنَ مِنَ النَّاسِ؛ قِيْلَ مَنْ هُمْ؟ أَهْلُ القُرْآن هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**».(١)

وليس المراد بأهل القرآن الذين اقتصروا على مجرد حفظه، بل هم الذين حفظوا القرآن، وعرفوا معانيه، واستفادوا من علومه وعملوا به وتحاكموا إليه.

فإنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «**أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا**».(٢)

وهم الذين يحفظون القرآن لمقاصد فاسدة، يحفظ القرآن لأجل أن ينال شهادة دنيوية؛ ويتوصل بها إلى وظيفة ينال منها مالا، أو يحفظ القرآن لأجل أن يشارك في مسابقة؛ لأنه شاهد مسابقة القرآن الدولية، ورأى تكريم الفائزين ورأى الجوائز والأموال التي أعطيت لهم.

---

(١) أخرجه النسائي (٨٠٣١)، وابن ماجه (٢١٥)، وأحمد (١٢٢٩٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٥)، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ١٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٩/ ٧١) وصححه الألباني في صحيح الجامع

فأهل القرآن حقا؛ هم الذين حفظوا القرآن وعملوا بما فيه، وتحاكموا إليه .

وهؤلاء معروفون؛ فصاحب القرآن يعرف بليله والناس نائمون ، وبصومه في النهار إذ الناس مفطرون، وببكائه خوفا من الله إذ الناس يضحكون، وبمراقبته لربه والناس في معصية االله منبعثون؛ يحكم كتاب الله ﷻ في نفسه.

فهو على خطى رسول الله ﷺ الذي قالت عنه أمنا عائشة رضي الله عنها : «**كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ**».[1]

«**أُوْلَئِكَ أَهْلُ اللهِ حَقًّا وَحِزْبُهُ**»؛ حزب الله؛ هم الغالبون، وهم المفلحون؛ وهم المتمسكون بدين الله ﷻ، العاملون بشرع الله، الداعون إلى الله ﷻ.

«**لَهُمْ جنَّةُ الفِرْدَوْسِ إِرْثًا وَيَا لَهَا**»؛ يشير إلى قول الله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٨١٣) واللفظ له، وأبو يعلى (٤٨٦٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤٤٣٥)

أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١-١٠].

قال الإمام ابن جرير الطبري ﵀: «وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة».[1] اهـ

والفردوس هي أفضل الجنة، كما جاء في الحديث: «**إِذَا سَأَلْتُمْ اللهَ فاسْأَلوه الفِرْدَوسَ؛ فَإِنَّهَا أَعْلَى الجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا، وَمِنهَا تَتَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ وَفَوْقَهَا عَرْشُ الرَّحْمنِ**».[2]

وقد أشار الناظم إلى علو هذه الجنة، وإلى خيريتها بقوله: «وَيَـا لَهَاَ» يعني؛ يا لها من إرث عظيم ومن عطية كريمة.

---

(١) جامع البيان (١٩/ ١٢) ط دار التراث والتربية

(٢) أخرجه البزار (٤٢٠٣)، والطبراني (١٨/ ٢٥٤) (٦٣٥)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٢٨) باختلاف يسير

**قال** رحمه الله :

وَمَــالَ إِلَيْــهَا آخَرُوْنَ لِجَهْلِهِمْ ... فَــلَمَّا اطْمَأَنُّوْا أَرْشَقَتْهُمْ نِبَالُهَا

أُوْلَئِكَ قَوْمٌ آثَـرُوْهَـا فَأَعْقَبُوا بِهَا ... الخِزْيَ فِي الأُخْرَى وَذَاقُوْا وَبَالَها

## التعليق

يقول : كما أنه زهد في الدنيا أناس ولم يغتروا بها؛ فإن أناسًا آخرين انخدعوا بالدنيا، ووقعوا في شباكها.

«وَمَالَ إِلَيْهَا آخَرُوْنَ »؛ ما السبب في أنهم انخدعوا بالدنيا واغتروا بها وصاروا من طلابها ؟

قال : «لِجَهْلِهِمْ»؛ السبب هو الجهل.

**والجهل يطلق في الشريعة على أمرين :**

١) يطلق على عدم العلم. فالذي ليس عنده علم هذا جاهل.

٢) ويطلق على عدم العمل؛ الذي عنده علم لكن لم يعمل بعلمه هذا جاهل أيضًا.

فالذي يخلصك بتوفيق الله عز وجل من الشرور ومن مكائد الدنيا؛ هو العلم النافع.

والعلم النافع؛ علم الكتاب والسنة على منهج السلف، وهو أغلى وأعلى وأحلى عند أهله من الدنيا كلها.

ولهذا ذكر الشيخ مقبل رحمه الله كلاما في مقدمة بعض كتبه؛ لما كان محاطا بهموم الدنيا ومشاكلها ، قال : «فإذا فتحتُ «صحيح البخاري» وقرأت : قال الإمام البخاري؛ حدثنا عبد الله ابن يوسف التنيسي، قال حدثنا مالك.. أو أفتح «صحيح مسلم» وأقرأ : حدثنا يحيى ابن يحيى قال أخبرنا مالك ؛ أنسى هموم الدنيا وأنسى مشاكل الدنيا». اهـ

كان يجد لذته في العلم؛ ويجد لذته في قراءة الكتب العلمية وبثها في مجالس العلم.

«فَلَمَّا اطْمَأَنُّوا أَرْشَقَتْهُمْ نِــبَالُهَا» أي : لما اطمأنوا للدنيا أرشقتهم؛ يعني رَمَتْهم، والنَّبْلُ : هو السهم العربي، أصابتهم بسهامها فصرعتهم ووقعوا صرعى وموتى!

ماتوا في حب الدنيا وطلبها !

فإياك أن تطمئن إليها، أو أن تميل لها !.

لكن ينبغي أن تعلموا ؛ أننا إذا قررنا هذا ، لا يعني أن نترك السعي في طلب الرزق المباح؛ أو أن نكون عيالا على غيرنا، فأن الغنى لا

ينافي الصلاح ؛ قد يكون الرجل صالحا وهو غني، لكن الدنيا تكون في يديه ولا تكون في قلبه؛ يسخر الدنيا لما يقرّبه من ربّه ﷻ ولا يكون مستعبَدا لهذه الدنيا؛ وهؤلاء ليسوا كثيرين... هؤلاء قليلون.

**قال** : «**أُوْلَئِكَ قَوْمٌ آثَرُوْهَا فَأُعْقِبُوا بِهَا**» هؤلاء الذين وقعوا صرعى بسهام الدنيا، وآثروا الدنيا على الآخرة؛ صاروا طلابًا للدنيا مع معرفتهم؛ بأنهم في طلبهم للدنيا وفي تحصيلهم للدنيا، خالفوا شرع الله ﷻ.

«**الخِزْيَ فِي الأُخْرَى وَذَاقُوْا وَبَالها**»؛ فكانت عاقبتهم أن أُصيبوا بالخزي؛ والذل والهوان والهلاك .

«**وَذَاقُوْا وَبَالها**» وجدوا سوء العاقبة؛ وسيجدون سوء العاقبة في الدنيا قبل الآخرة، لأن القاعدة؛ كما قال ابن القيم ؒ في كتابه «إغاثة اللهفان» : «أَنَّ كُلَّ مَن أَحَبَّ شَيئًا سِوى الله ﷻ عُذِّبَ بِهِ».[1]

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ

(١) انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ٦١) ط عطاءات العلم

﴿يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

عُذبوا بهذا الذهب؛ وعُذبوا بهذه الفضة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: «ولهذا يقال: من أحبَّ شيئًا وقدمه على طاعة الله، عُذِّبَ به، وهؤلاءِ لمَّا كان جمع هذه الْأَموالِ آثَرَ عندهم من رضا اللهِ عنهم، عُذِّبُوا بِهَا».[1]

لكن الذي يحب الله ويطيع الله، وإذا حصّل مالًا كفّ به نفسه عن الحاجة إلى الناس، وسخر المال في خدمة دين الله، وفي إنفاقه فيما يحبه الله ويرضاه، يجد من النعيم العاجل قبل الآجل شيئًا كبيرًا.

وأنا قرأت قبل سنوات دراسة؛ هذه الدراسة أجريت على أثرياء في بريطانيا -وهم من الكفار-، ونتيجة هذه الدراسة أن الأثرياء الكفار الذين عُرفوا بدعم الأعمال الخيرية، وبدعم الفقراء والمحتاجين، كانوا أسعد من غيرهم.

وهذا من فضل الله عز وجل وعدله، أن الذي يعمل صالحا من الكفار يطعم به في الدنيا شيئًا؛ وليس له في الآخرة من خلاق.

(١) تفيسر القرآن العظيم (٣/ ١٢٤) ط العلمية

قال رحمه الله :

**فَقُلْ لِلَّذِيْنَ اسْتُعْذِبُوهَا : رُوَيْدَكُمْ    فَـــيَنْقَلِبَ الـــسَّمُّ النَّقِيْعَ زُلَالُهَا**
**لِيَـــلْهُوْا وَيَغْتَرُّوا بِهَا مَــا بَــدَا لَهُمْ    مَتَى تَبْـلُغِ الحُلْقُوْمَ تُصْرَمُ حِبَـالُهَا**

## التعليق

وهذه موعظة جليلة وعظيمة، يخاطب بها الذين اغـــتروا بالدنيا وأحبوا الدنيا.

«**فَقُلْ لِلَّذِيْنَ اسْـتُعْذِبُوهَا : رُوَيْدَكُمْ**»؛ أي : قل للذين وجدوا الدنيا عذبة المذاق، حلوة الطعم، فركنوا إليها وانخدعوا بها.

«**رُوَيْدَكُمْ**» انتصب على أنه مفعول مطلق؛ رُوَيْدَكُمْ يعني : تمهلوا تفكروا، راجعوا أنفسكم قبل أن تهلكوا.

«**فَيَنْقَلِبَ السَّمُّ النَّقِيْعَ زُلَالُهَا**»؛ أنتم الآن تظنون أن طعْمها عذب، وأنه زُلَال؛ والزُّلَالُ : هو الماء العذب الصافي الذي يستلذ به الإنسان.

سينقلب هذا الزلال سما نقيعا؛ يعني، سما مهلكا، سما مميتا.

متى؟ عند الموت.

كيف ؟ قال :

«**لِيَلْهُــوْا وَيَـــغْتَرُّوا بِهَا مَا بَدَا لَهُمْ**»؛ ليلهوا : أي ليلعبوا ويغتروا وينخدعوا بالدنيا؛ فإنهم أنفقوا المال في ملاذ أنفسهم، وفي ملاذ قلوبهم؛ وهم إذا كانوا مخالفين لشرع الله ﷻ لابد أن يصابوا بالمنغصات وبالمرَارات، لماذا ؟ لأن راحة القلب ليست إلا في طاعة الرّب ﷻ.

قال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل : ٩٧] .

الحياة الطيبة لا ينالها إلا المتقون، الصالحون ، أما من سواهم من أهل الدنيا، فمع أموالهم الطائلة؛ هم في تعاسة، وفي حسرة، ويهربون من هذه التعاسة ولا مهرب .

ولهذا يُقَال : مَن أَحَبَّ شيئًا وقدَّمه على طاعة اللهِ، عُذِّبَ به وهؤلاء لمّا كان جمع هذه الأموال آثَرَ عندهم من رِضَا الله عنهم، عذّبوا بها.

«**مَتَى تَبْـلُغِ الحُلْقُوْمَ تُـصْرَمُ حِبَـالُهَا**» كناية عن نزول الموت.

يُقال : صَرَمَهُ صَرْمًا؛ قَطَعَهُ ، فصَرَمَ الحَبْلَ أي قطعه.

وذلك أن الإنسان عند نزول الموت، إذا كان مفرطا سأل الله ﷻ الـــرجعة إلى الدنيا، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

علم حينذاك أن الذي ينفعه هو العمل الصالح.

فعليكم أن تستعدوا للموت بالعمل الصالح!

وعليكم أن لا تغتروا بالدنيا.!

إذا أطعت ربك واتقيتَه، وراقبته وعملت بدينه وابتعدت عن معصيته؛ رزقَك الله ﷻ رزقًا حلالا طيبًا مباركا، لإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[الطلاق: ٢-٣].

أنت تقول: كيف سأعيش في الدنيا !؟

أريد أن أتزوج، أريد أن يكون عندي بيت،

وسيكون عندي أولاد؛ يحتاجون إلى أموال !

كيف أعيش في الدنيا ؟!

فالجواب : اطلب الدنيا لكن بقدر؛ لا تكن عبدا للدنيا؛ واحذر، لماذ ؟ لأن النبي ﷺ يقول : « **لو كَانَ لإبنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنَ ذَّهَبٍ لابتَغَى ثَالِثًا**».[1]

قال تعالى : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾[التكاثر : ١] العلماء قالوا : هذه قد تفيد أنهم انشغلوا بالتكاثر، وبجمع الدنيا؛ فكانوا في غفلة شديدة لم ينتبهوا منها إلا عند نزول الموت.

قال : ﴿زُرْتُمُ﴾؛ لأنكم لن تبقوا في المقابر كثيرا.

البقاء في المقابر كالزيارة؛ والزيارة تكون قصيرة، ثم جنة أو نار.

فعليك أن تستعد للموت؛ ومن ذلك ألا تكون من أهل الدنيا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٩)، ومسلم (١٠٤٨).

**قال ﵀ :**

**وَيَوْمَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِكَسْبِهَا    تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَنِيْهَا وَمَالَهَا**

**وَتَأْخُذُ إِمَّا بِاليَمِيْنِ كِتَابَهَا    إِذَا أَحْسَنَتْ، أَوْ ضِدَّ ذَا بِشِمَالِهَا**

**وَيَبْدُو لَدَيْهَا مَا أَسَرَّتْ وَأَعْلَنَتْ    وَمَا قَدَّمَتْ مِنْ قَوْلِهَا وَفِعَالِهَا**

## التعليق

يُذكّر الناظم ﵀ بما سيمر به كل إنسان.

فكل إنسان سيموت؛ قال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران : ١٨٥].

هل قال بعدها : وما الشيطان إلا عدو ؟، وما صاحب السوء إلا عدو ؟ لا.

الشيطان خطير !،

وصاحب السوء خطير !

لكن الله ﷻ قال : ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ فنستفيد من ذلك أن من أخطر الأعداء؛ هذه الدنيا، لأن الله ذكرها في سياق الفوز والخسارة.

«**وَيَوْمَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِكَسْبِهَا .. تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَنِيْهَا وَمَالَهَا**» يعني أن المفرط والظالم لنفسه يوم القيامة يَودّ لو يفتدي من العذاب بكل شيء، قال تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ [المعارج: ١١-١٣].

بدأ بأبنائه، لأنه لا يفر عنهم في الدنيا إذا واجههم خطر؛ لكن في الآخرة، يود لو أنه نجى من العذاب وعُذب أبناؤه، ثم قال: ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ١٤] أي: من في الدنيا كلها.

جاء في «صحيح مسلم» يقول النبي ﷺ: «**لَأَنْ أقولَ: سُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبَرُ أحَبُّ إليَّ ممّا طلَعَتْ عليه الشَّمسُ**».[1] فالعمل الصالح أحب وأعظم ثوابا وأجرا وخيرًا مما طلعت عليه الشمس، لأن كل ما طلعت عليه الشمس يوم القيامة؛ يود المفرط لو أنه كله يكون فداء له.

«**وَتَأْخُذُ إِمَّا بِاليَمِيْنِ كِتَابَهَا .. إِذَا أَحْسَنَتْ، أَوْ ضِدَّ ذا بِشِمَالِهَا**»

يريد أن يوم القيامة ينصرف فيه الناس بين يدي ربهم؛ وينقسمون إلى فريقين؛ آخذ كتابه بيمينه وهو فرح مسرور، وآخذ بشماله وهو قد

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٥)، والترمذي (٣٥٩٧)، وابن حبان (٨٧٤).

أصابه الشقاء والعناء، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤]

قال مجاهد رحمه الله: «نزلت في الصّوّام»، ذكر أحد أفراد الأعمال الصالحة وهو الصيام.

ثم قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ لم أكن موجودا، حتى لا آخذ كتابي ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ متُّ وصرتُ ترابا، فلا أُبعث، ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾﴾ ما نفعني المال، ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ حتى السلطان؛ لن يرد عنه شيئا، ولن ينفعه، ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢].

فعليك أن تتذكر ذلك اليوم؛ وأن تستعد له بالإيمان والعمل الصالح والحذر من الاغترار بالدنيا.

**«وَيَبْدُو لَدَيْهَا مَا أَسَرَّتْ وَأَعْلَنَتْ .. وَمَا قَدَّمَتْ مِنْ قَوْلِهَا وَفِعَالِهَا».**

قال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الإنفطار: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾ [العاديات: ١٠].

قال مقاتل بن سليمان : ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ مِن الخير والشّرّ، يعني : تَمَيّز ما في القلوب.

وقال تعالى : ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾[الكهف : ٤٩] أي : وجدوا كل الأعمال، الصغير منها والكبير.

إذًا ؛ هذا كله يدفع المسلم إلى أن يتيقظ ، وأن يستعد للموت وللدار الآخرة .

**قال** رحمه الله :

**بِأَيْدِي الكِرَامِ الكَاتِبِيْنَ مُسَـطَّرٌ فَلَـمْ يُغْنِ عَنْهَا عُذْرُهَا وَجِـدَالُهَا**

### التعليق

كان قد ذكر رحمه الله أن الذين فُتنوا بالدنيا هلكوا في بيدائها؛ وأنه سيصيبهم الحزن العظيم، وستنزل بهم الحسرة الشديدة يوم القيامة.

في ذلك اليوم الذي يُوفى كل عامل عمله، كما قال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة : ٢٨١].

كيف وقد جاء أن أصحاب الشمال يودون يوم القيامة لو جعلوا أهلهم وأموالهم فداءً لينجو من عذاب يوم القيامة، وأن الله عز وجل في ذلك اليوم يُظهر للناس جميع أعمالهم؛ مـــا أسروه وما أعلنوه، وأنه تنشر لهم الدواوين التي كُتبت فيها جميع أعمالهم.

وذلك كما قال ربنا عز وجل : ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف : ٤٩].

«**بِأَيْدِي الكِرَامِ الكَاتِبِيْنَ مُسَطَّرُ**» أي: ما عملوه قد سطره وكتبه الكرام الكاتبون من الملائكة؛ الذين وكلّهم الله ﷻ بكتب أعمال العباد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الإنفطار: ١٠-١٢] كراما كاتبين؛ وُصفوا بأنهم كاتبون، أي: يكتبون جميع الأعمال.

قال ابن كثير في تفسيره: «يعني: وإن عليكم لملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم».[1]

ويقول ربُّنا ﷻ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية: ٢٩].

«**فَلَمْ يُغْنِ عَنْهَا عُذْرُهَا وَجِدَالُهَا**» يعني: أن الجدال والمعاذير؛ لا تفيد هذه النفس شيئا؛ بل ربما أنكر بعض الناس ما أقترفته أيديهم، لكن الله ﷻ يختم على أفواههم، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾ [يس: ٦٥] هذه الجوارح تُحدث بها باشرته وشاركت فيه من أعمال السوء.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٤١) ط العلمية

**قال رحمه الله :**

**هُنَالِكَ تَدْرِي رِبْحَهَا وَخَسَارَهَا     وَإِذْ ذَاكَ تَـلْـقَى مَـا إِلَيْــهِ مَـآلُهَا**

**التعليق**

يخبر رحمه الله أن الإنسان حينما يأخذ كتاب أعماله، ويجد أعماله قد أُحصيت ليجازى عليها؛ هنالك يظهر الرابح من الخاسر، أما الرابح ففي سعادة غامرة؛ وأما الخاسر والشقي ففي حزن شديد.

«**وَإِذْ ذَاكَ تَلْقَى مَا إِلَيْهِ مَآلُهَا**» أي : الذي ترجع إليه، وتؤول إليه، لأن ذلك اليوم هو يوم الجزاء على الأعمال؛ وهذه المعارف ينبغي أن يكون لها أثر على حياة المرء في الدنيا.

وسبحان الله.. الرب عز وجل أقام عليك الحجة، وأبان المحجة، وقطع المعذرة، وأبان لك الطريقين وهداك النجدين، فعليك أن تحرص على ما ينفعك في تلك الدار ، كما قال ربنا عز وجل : ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الشعراء : ٨٨-٨٩].

فالمال لا ينفعك؛ والبنون لا يردون عنك شيئا.

ولهذا من خُذل فانشغل بالمال عن العمل الصالح، واغتر بالبنين؛ بل ربما كان أولاده سببا في ضلاله وعصيانه ، فهذا من الخاسرين.

وأنت إذا تأملت كتاب الله ﷻ؛ وجدته مليئا بالآيات التي فيها التحذير من الإنشغال بالمال، والبنين، عن العمل للآخرة ، مثل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩﴾[المنافقون :٩ ] الذي التهى بمال وببنيه عن ذكر الله ﷻ، -وذكر الله تدخل فيه جميع الطاعات- هذا خاسر.

ثم قال : ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾، ما من إنسان إلا وهو يستمتع برزق الله ﷻ حتى لو كان قليلًا ، الناس كلهم يأكلون من رزق الله ﷻ في هذه الدنيا، وهذا خطاب لجميع الناس، ويدخل فيه دخولًا أوليًا من وسع الله ﷻ عليه في الرزق.

ثم قال : ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾[المنافقون : ١٠-١١].

الآن أنت في زمن المهلة، في أرض البذر والزرع.

ازرع خيرا لتحصد خيرًا؛ ازرع أعمالا صالحة، ازرع نفقات في سبيل الله ﷻ، حتى لو لم تكن من الأغنياء، الفقراء في زمن النبي ﷺ كانوا ينفقون في سبيل الله بقدر وسعهم.

ولهذا كان المنافقون يلمزونهم؛ إذا جاء الفقير بنفقة قليلة؛ قالوا ما وجد غير هذا، حتى ينفقه في سبيل الله، وإذا جاء صاحب النفقة الكبيرة؛ قالوا : هذا مراءٍ، ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾، [التوبة : ٧٩].

والآية التى ذكرناها في التحذيرمن الإنشغال بالأولاد والأموال؛ هذه الآية من سورة المنافقون، ويشرع للإمام في صلاة الجمعة أن يقرأ بـ«سبح اسم» و«الغاشية»، ويقرأ تارة بـ «الجمعة» و«المنافقون»، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩﴾؛ ومن الحكمة من ذلك : التنبيه لما اشتملتا عليه من المعاني العظيمة ومنها التحذير من فتنتي المال والأولاد.

إذًا ؛ الذي صار صريعًا للدنيا، ولزينتها، وبهجتها؛ منافسًا في حطامها، منشغلا بها عن العمل للآخرة ، هذا من الخاسرين.

قال ﵀ :

فَإِنْ تَكُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ والتُّقَى    فَـإِنَّ لَهَا الـحُسْنَى بِحُسْنِ فِعَالِهَا
تَفُوْزُ بِـجَنَّـاتِ النَّعِيْـمِ وَحُوْرِهَا    وَتُحْبَرُ فِـي رَوْضَـاتِـهَا وَظِـلَالِهَـا
وَتُرْزَقُ مِمّـَا تَشْتَهِي مِنْ نَعِيْمِـهَا    وَتَـشْرَبُ مِـنْ تَـسْنِيْمِهَا وَزَلَالِهَا

## التعليق

هذه النفس؛ إذا كانت ممن أكرمها الله ﷻ بأن تكون من أهل السعادة، ومن أهل التقى؛ فهي الرابحة ، وهي السعيدة ، وهي التي تحظى بالحسنى وزيادة ، كما قال تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس : ٢٦].

الحسنى : هي الجنة؛ والزيادة : هي النظر إلى وجه الله ﷻ .

وإنما أخبر الله ﷻ بأن للذين أحسنوا الحسنى وزيادة؛ وهي النظر إلى وجه الله، لأنهم من أهل الإحسان.

وفي الحديث لما سئل النبي ﷺ عن الإحسان؛ قال :
«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِن لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».(١)

(١) رواه البخاري برقم (٥٠) (٤٧٧٧) ومسلم (٩) (١٠) والحديث متفق على صحته، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁

أهل الإحســان لما عبدوا الله على مقام المشــاهدة؛ والمراد بها مشــاهدة الصــفات ، وربما نزلوا عن هذا المقام الأعلى إلى مقام المراقبة؛ وكلهم من أهل الإحســان، إلا أن أهل المشــاهدة أعظم منزلة من أهل المراقبة ، فازوا بالنظر إلى وجه الله ﷻ في الآخرة .

الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه، وهذا من قوة الإيمان بالله ﷻ، ومن شدة المعرفة التفصيلية بأسماء الله وصفاته.

هذه الأســماء والصــفات، التي للإيمان بها آثار على العبد، آثار في حياته وفي سيره إلى الله ﷻ.

يقول الله ﷻ : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف : ٨٠].

فمن آمن بأن الله ســميع، وأن الله بصــير، فإنه إذا راودته نفســه بمعصــية في ظلمة الليل؛ تذكر أن الله يراه، وأن الله يســمع نجواه، فمنعه ذلك عن المعصية.

ومن توفيق الله ﷻ للناظم أنه قال : «**فَــإِنْ تَــكُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ والتُّقَى**»؛ إشــارة إلى أن أهل التقوى هم أهل الجنة ، وأنهم الذين ينالون السعادة في الدنيا والآخرة.

فالذين راقبوا الله ﷻ، واتقوه وخافوه، ولازموا طاعته وابتعدوا عن معصيته، هم الذين يفوزون بالجنة و ينجون من النار.

والآيات الدالة على أن أهل التقوى هم أهل الجنة كثيرة؛ منها قول الله ﷻ : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ [آل عمران: ١٣٢ ].

من أسباب الإصرار على المعصية، تلبيس الشيطان يقع الإنسان في معصية، فيأتيه الشيطان ويقول: لا سبيل لك إلى توبة !، أنت منجس قلبك بقذر المعصية؛ فيستمر ويصر على المعصية ، ويغفل عن أن الله يفرح بتوبة التائبين .

فقد روى البخاري ومسلم، عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «**إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا – وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا – فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ – وَرُبَّمَا قَالَ : أَصَبْتُ – فَاغْفِرْ لِي ، فَقَالَ رَبُّهُ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَقَالَ : رَبِّ أَذْنَبْتُ – أَوْ أَصَبْتُ – آخَرَ ، فَاغْفِرْهُ ؟ فَقَالَ : أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا ، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا،**

قَالَ : قَالَ : رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ - آخَرَ ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاَثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ» . وفي لفظ لمسلم : «اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».[1]

قال النَّووي رحمه الله : «لَوْ تَكَرَّرَ الذَّنْبُ مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَلْفَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ وَتَابَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ وَسَقَطَتْ ذُنُوبُهُ ، وَلَوْ تَابَ عَنِ الْجَمِيعِ تَوْبَةً وَاحِدَةً بَعْدَ جَمِيعِهَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ، وقوله : «اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ» مَعْنَاهُ : مَا دُمْتَ تُذْنِبُ ثُمَّ تَتُوبُ ؛ غَفَرْتُ لَكَ». [2]

لكن ليس هو استغفارٌ باللسان فقط؛ بل إستغفار باللسان والقلب معا، إستغفار توبة نصوح ؛ يقلع عن الذنب ويندم عليه، ويعزم أن لا يعود إليه.

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٧).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٧٥).

قال : «تَفُوْزُ بِجَنَّاتِ النَّعِيْمِ وَحُوْرِهَا .. وَتُحْبَرُ فِي رَوْضَاتِهَا وَظِلَالِهَا». هؤلاء أهل الجنة في عيش طيب، وفي نعمة كبرى.

الحور من جملة نعيم أهل الجنة ، وحورٌ مفردها : حوراء؛ قال البغوي رحمه الله في تفسيره :

«كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم، ﴿بِحُورٍعِينٍ﴾ أي قرناهم بهن، ليس من عقد التزويج، لأنه لا يقال : زوجته بامرأة، قال أبو عبيدة : جعلناهم أزواجا لهن كما يزوج البعل بالبعل، أي جعلناهم اثنين اثنين، «والحور»: هن النساء النقيات البياض ؛ قال مجاهد : يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن.

وقال أبو عبيدة : الحور : هن شديدات بياض الأعين الشديدات سوادها، واحدها أحور، والمرأة حوراء، والعين : جمع العيناء، وهي عظيمة العينين».[1]

«وَتُرْزَقُ مِمَّا تَشْتَهِي مِنْ نَعِيْمِهَا .. وَتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيْمِهَا وَزُلَالِهَا»؛ وترزق مما تشتهي من نعيم الجنة ، فكل ما اشتهته الأنفس تناله.

(١) معالم التنزيل – تفسير البغوي – طيبة (٧/ ٢٣٧)

مثل ما جاء في الحديث: أَنَّ رَجُلًا قالَ: يا رسولَ الله! هلْ في الجَنَّةِ مِنْ خَيلٍ؟ قال: «**إِن الله أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ، فلا تَشاءُ أَنْ تُحْمَلَ فيها على فَرَسٍ مِنْ ياقوتَةٍ حَمْراءَ يطيرُ بكَ في الجَنَّةِ حَيْثُ شِئتَ إلا فَعَلْتَ**». وسَأَلَهُ رَجُلٌ فقالَ: يا رسولَ الله! هلْ في الجَنَّةِ مِنْ إبلٍ؟ فقالَ: «**إِنْ يُدْخِلْكَ الله الجَنَّةَ يكُنْ لكَ فيها ما اشْتَهتْ نَفْسُكَ ولَذَّتْ عينُك**».[1]

«**وَتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيْمِهَا وَزُلَالِهَا**»؛ والتسنيم: هو عين في الجنة يشربها المقربون، ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ [المطففين: ٢٥-٢٩].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾ أَيْ: وَمِزَاجُ هَذَا الرَّحِيقِ الْمَوْصُوفِ مِنْ تَسْنِيمٍ، أَيْ: مِنْ شَرَابٍ يُقَالُ لَهُ تَسْنِيمٌ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَعْلَاهُ. قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ وَالضَّحَّاكُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ أَيْ: يَشْرَبُهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا، وتُمزَجُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ مَزجًا. قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُهُمْ رضي الله عنهم».

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٥٤٣) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥/ ٧).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ :

«قَوْلُهُ : ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾ أَيْ : وَفِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ فَلْيَتَفَاخَرِ المتفاخرون، وليتباهى وَيُكَاثِرْ وَيَسْتَبِقْ إِلَى مِثْلِهِ الْمُسْتَبِقُونَ. كَقَوْلِهِ : ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾.»[1] اهـ

وقد جاء عن بعض السلف أنهم قالوا : «من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره».

(١) تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٤٩) ط العلمية

قال العلامة حافظ الحكمي رحمه الله :

وَإِنَّ لَهُمْ يَوْمَ المَزِيْدِ لَمَوْعِدًا زِيَادَةَ زُلْفَى، غَيْرُهُمْ لَا يَنَالُهَا

وُجُوْهٌ إِلَى وَجْهِ الإِلَهِ نَوَاظِرُ لَقَدْ طَالَ مَا بِالدَّمْعِ كَانَ ابْتِلَالُهَا

تَجَلَّى لَهَا الرَّبُّ الرَّحِيْمُ مُسَلِّمًا فَيَزْدَادُ مِنْ ذَاكَ التَّجَلِّي جَمَالُهَا

## التعليق

من أعظم نعيم الجنة؛ رؤية الله عز وجل بالأبصار.

ولأهل الجنة يوم المزيد، وهو يوم الجمعة؛ وهو اليوم الذي يجتمع فيه أهل الجنة في سوق من أسواقها؛ فيتجلى لهم ربهم عز وجل يضحك، فينظرون إليه، وهذا من أعظم النعيم؛ وسُمي بيوم المزيد.

لما جاء في الحديث عند الطبراني وصحّحه العلامة الألباني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر : «**أتاني جبريلُ وفي يدِهِ مِرآةٌ بيضاءُ فيها نُكتةٌ سوداءُ فقلتُ ما هذه يا جبريلُ؛ قال : هذه الجمعةُ يعرِضُها عليك ربُّك لتكون لك عيدًا ولأمتك من بعدِك. قلتُ : ما هذه النكتةُ السوداء فيها؟ قال : هي الساعةُ تقوم يومَ الجمعةِ وهو سيدُ الأيامِ عندنا ونحن ندعوهُ في الآخرةِ يومَ المزيدِ. قلتُ : فلمَ تدعونه يومَ المزيدِ.. الحديث**»[1].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٥٠)، والطبراني في (المعجم الأوسط) (٢٠٨٤)

والله ﷻ يقـــول : ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ وجاء تـــفسير «الزِّيَادة» : بأنها النظر إلى وجه الله ﷻ .

وثبت أيضا عند البزار وحسّنه العلامة الألباني أن النبي ﷺ قال عن أهل الجنة : «**فَلَيْسُوا إِلَى شَيءٍ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إلى يَومِ الْجُمُعَةِ لِيَزْدَادُوا فِيهِ كَرَامةً وَلِيَزْدَادُوا فِيهِ نَظرًا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى..**».[1]

**قال** : «**وَإِنَّ لَهُمْ يَوْمَ الْمَزِيْدِ لَمَوْعِدًا**» يعني : أن رؤيـــة الله ﷻ نعيم زائد على ســائر النعيم ، الذي يتلذذ ويتنعم به أهل الجنة؛ «**زِيَادَةَ زُلْفَى**» أي : زيــادة قُربي ودرجة و إكرام وإنعـام من الله ﷻ.

«**غَيْرُهُمْ لَا يَنَــــالُهَا**»؛ هذه الرؤية اختص الله ﷻ بها أهل الجنة ، قال تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين : ١٥].

فلما حجب الله ﷻ الكفار عن رؤيته في حال الســخط؛ دل ذلك على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا.

وقـــد جاء عن النبي ﷺ؛ والحـــديث متفق على صحته، وهو حديث جرير بن عبد الله البجــــلي؛ أن النبي ﷺ قال : «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ**

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ١٥٠)، والبزار (٧٥٢٧)



رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لا تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا علَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا».[1]

وقوله: «**وُجُوْهٌ إِلَى وَجْهِ الإِلَـهِ نَوَاظِرُ**»؛ أخبر عنها الرب ﷻ فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة: ٢٢-٢٣] ناضرة: يعني حسنة، جميلة، بهية، ازداد جمالها وحسنها بنظرها إلى وجه الله الذي هو أعظمُ نعيمٍ لأهل الجنة.

ولهذا جاء عن الحسن البصري رحمه الله كما في «جامع البيان» أنه قال: «وحُقَّ لها أن تنضر وهي إلى الخالق تنظر». اهـ

«**لَقَدْ طَالَ مَا بِالدَّمْعِ كَانَ ابْتِلَالُهَا**»؛ هذا الفعل يدل على الكثرة؛ كثير ما كانت هذه العيون تبتلّ بالبكاء من خشية الله ، ومحبته وتعظيمه، والشوق إلى لقائه.

والبكاء من خشية ﷻ خير عظيم؛ يمنُّ به الرب الرحيم على المُوفَّقين من عباده، يقول ربنا ﷻ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ۝١٠٩﴾ [الإسراء: ١٠٩] ويقول: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣].

---

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٣٥).

وفي «سـنن الترمذي» يقول النبي ﷺ : «**عينانِ لا تمسَّـهُما النار: عينٌ بكتْ من خَشيةِ الله، وعينٌ بـاتتْ تَحْرُسُ في سبيلِ الله**».[1]

فهؤلاء لطالما ابتلت وجوههم بالدمع خوفا من ربهم ﷻ.

وإن قحوط العين وقسوة القلب لمصيبة كبيرة.

وقحوط العين سببه قسوة القلب.

ولهذا يقول الشاطبي رحمه الله في منظومته المشهورة [2]:

**وَلَوْ أَنَّ عَيْنًا سَاعَدتْ لتَوَكَّفَتْ سَحَائِبُهَا بِالدَّمْعِ دِيمًا وَهُطَّلَا**
**وَلكِنَّها عَنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحْطُهاَ فَيَـا ضَيْعَةَ الأَعْمَارِ تَمْشِى سَبَهْلَلَا**

وثبت أن النبي ﷺ وعظ أصحابه ذات يوم موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون ، ووعظهم مرة فقال ﷺ : «**لو تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، ولَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**».

قالَ : فَغَطّى أَصْحابُ رَسولِ الله ﷺ وُجُوهَهُمْ، ولهمْ خَنِينٌ ..».[3]

أي من البكاء.

(١) أخرجه الترمذي (١٦٣٩)، وابن أبي عاصم في الجهاد (١٤٦)، والبيهقي في (٧٩٦)

(٢) حرز الأماني ووجه التهاني -الشاطبية- البيت (٨٢-٨٣)

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٢١)، ومسلم (٢٣٥٩)



«تَجَلَّى لَهَا الرَّبُّ الرَّحِيْمُ مُسَلِّمًا» أي في يوم المزيد؛ والله ﷻ يتجلى؛ وأهل السنة يثبتون ذلك؛ والتجلي هو كمال الظهور، والمصنف ؒ قال: «تجلى لها الرَّبُّ الرَّحِيْمُ..» فإنها نالت هذه الكرامة برحمة الله ﷻ؛ وهو يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾ [يس: ٥٨].

«فَيَزْدَادُ مِنْ ذَاكَ التَّجَلِّي جَمَالَهَا»؛ وهكذا؛ فما تزال تزداد جمالا، كلما رأت ربها ﷻ، كما أشار إلى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية؛ لما ذكر حديث أنس ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وثِيابِهِمْ، فَيَزْدادُونَ حُسْنًا وجَمالًا، فَيَرْجِعُونَ إلى أَهْلِيهِمْ وقَدِ ازْدادُوا حُسْنًا وجَمالًا، فيَقولُ لهمْ أَهْلُوهُمْ: واللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنا حُسْنًا وجَمالًا، فيَقولونَ: وأَنْتُمْ، واللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنا حُسْنًا وجَمالًا**».[1]

قال ؒ في «مجموع فتاوى»:

«ويجوز أن يكون هذا الحديث مختصرًا من بقية الأحاديث بأن سبب الازدياد «رؤية الله تعالى» مع ما اقترن بها. وعلى هذا فيمكن أن يكون «نساؤهم المؤمنات» رأين الله في منازلهن في الجنة «رؤية»

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٣).

اقتضت زيادة الحسن والجمال – إذا كان السبب هو الرؤية كما جاء مفسرًا في أحاديث أخر».[1] اهـ

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/ ٤٠٨) ط مجمع الملك فهد



قال رحمه الله :

بِـمَـقْعَدِ صِدْقٍ حَبَّذَا الجَارُ رَبُّهُمْ وَدَارِ خُـلُـوْدٍ لَمْ يَخَـافُـوا زَوَالَهَـا
فَوَاكِـهُـهَا مِمَّـا تَـلَذُّ عُيُوْنُهُمْ وَتَـطَّرِدُ الأَنْهَارُ بَيْنَ خِـلَالِهَا

## التعليق

ذكر شيئا من نعيم الجنة؛ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر : ٥٤-٥٥].

ذُكر في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله؛ ومن ذلك في «البداية والنهاية» أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما حُبس حبسه الذي مات فيه؛ ختم نحو ثمانين ختمة[1]، وآخر آيات قرأها في الختمة التى مات فيها هي قول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾.

وإذا كان شـيخ الاسـلام رحمه الله قد اسـتدل بالحديث الذي فيه أن المؤمنين إذا تتابعوا على الثناء على ميتهم، فيُرجى أن يكون من أهل الجنة، وبنى على ذلك؛ أنه يشهد للإمـــام أحمد بالجنة ، هذا اجتهاد

(١) انظر «البداية والنهاية» (١٤/ ١٣٨) ط السعادة –ابن كثير (ت ٧٧٣).



منه؛ فنرجو أن يكون شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ من أهل الجنة ، وأن هذا من علامات حسن خاتمته.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

ومقعد الصدق : هو الجنة، وهو أكمل مقعد؛ قد رضيه من استقر فيه.

**قال :** «**بِمَقْعَدِ صِدْقٍ حَبَّذَا الجَارُ رَبُّهُمْ**»؛ قد يشير -والله أعلم- إلى ما جاء في «السلسلة الصحيحة» للألباني برقم (٢٧٢٨) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

«**إِنَّ اللهَ لَيُنادِي يومَ القيامةِ: أين جِيرانِي، أين جِيرانِي؟ قال: فَتقولُ الملائكةُ: رَبَّنا ! ومَنْ يَنبغي أنْ يُجاوِرَكَ؟ فيقولُ: أين عُمّارُ المَساجِدِ؟**».

وإلى ما جاء في تفسير قوله تعالى :﴿ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ ﴾ [التحريم : ١١] قالوا : ذكرت الجار قبل الدار(١).

**قال :** «**وَدَارِ خُلُوْدٍ لَمْ يَخَافُوا زَوَالَهَا**»؛ هذا نعيم دائم .

فأنت في دار نعيم تعلم أنك خالد فيها، وأنك لا تخشى انتقالا ولا تحوُّلا.

---

(١) ذكره ابن كثير، والبقاعي في «نظم الدرر» وذكره محمد الأمين الشنقيطي في «أضواء البيان».

«**فَــوَاكِهُهَا مِمَّا تَــلَذُّ عُيُوْنُــهُمْ**»؛ فواكهها مما تتنعم به العين قبل الفم، كما قال ربنا ﷻ : ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾ [الزخرف : ٧١].

«**وَتَطَّرِدُ الأَنْهَارُ بَيْنَ خِلاَلِهَا**»؛ تطَّرد : يعني تجري الأنهار بين جوانبها؛ وتجري من تحتها الأنهار ، منظر حسن؛ قال تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد : ١٥].

**قال** رحمه الله :

**عَلَى سُرُرٍ مَوضُــوْنَةٍ ثُمَّ فُرْشُــهُمْ   كَمَا قَالَ فِيْهَا رَبُّنَا وَاصِــفًا لَهَا**
**بَــطَئِنُهَا إِسْتَبْرَقٌ كَــيْفَ ظَنُّكُمْ   ظَــوَاهِرُهَا لَا مُــنْتَهَى لِـجَمَالِهَا**

## التعليق

أشار المصنف رحمه الله إلى قول الله تـعـالى : ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ۝١٦﴾[الواقعة : ١٥-١٦] هـذه الســرر نســجت بالذهب والجوهر.

«**ثُمَّ فُرْشُهُمْ**»؛ الفرش جمع فِراش، كما قال تعالى :﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤﴾ [الرحمن :٥٤] أي : قريب، لا يحتاج إلى تعب ولا يحتاج إلى نصب ، تفكر في شيء فيدنو منك فتأخذه، وتلتذ به أكلًا.

**قوله تعالى** : ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ إذا كـانت البطائن من استبرق؛ فكيف الظواهر ؟! والإستبرق هو : ما غلظ من الديباج، أو مـا غلظ من الحرير ، ولهـذا قـال : «**كَيْفَ ظَنُّكُم ظَوَاهِرهَـا؟ .. لَا مُنْتَهَى لِجَمَالِهَا**» قد يكون مراده أن نعيم الجنة كله لا منتهى لجماله.

وكأنه يشير إلى أنك في الدنيا، مهما تنعمت بشيء ، فإنك ربما مللته؛ صحيح؟ ربما مللت من الاستمرار عليه ، وفي الغالب؛ لذتك به أول مرة لا تعادلها لذة تلتذ بها من بعد ذلك ، أما الجنة؛ فكل لذة وكأنها أول مرة.

(نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل الجنة).

قال رحمه الله :

وَإِنْ تَكُنْ الأُخْرَى فَوَيْلٌ وَحَسْرَةٌ ... وَنَارُ جَحِيْمٍ مَا أَشَدَّ نَكَالَهَا
لَهُمْ تَحْتَهُمْ مِنْهَا مِهَادٌ وَفَوْقَهُمْ ... غَوَاشٍ، وَمِنْ يَحْمُوْمِ سَاءَ ظِلَالُهَا

## التعليق

جرى المصنف رحمه الله على طريقة القرآن.

فمن طريقة القرآن ؛ أنه إذا ذكر الجنة ذكر النار.

وإذا ذكر نعيم أهل الجنة ، ذكر عذاب أهل النار.

وهذا أحد معاني كونه مثاني.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره :

«وقال بعض العلماء ويروى عن سفيان بن عيينة معنى قوله تعالى : ﴿مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾؛ أن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من المتشابه وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا فهذا من المثاني».[1]

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٨٣) ط العلمية

قال : «وَإِنْ تَكُنْ الأُخْرَى»؛ هذا معطوف على قوله «فَإِنْ تَكُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ والتُّقَى»، قال : «وَإِنْ تَكُنْ الأُخْرَى فَوَيْلٌ وَحَسْرَةٌ» الويل : هو العذاب والهلاك وحلول الشر.

والحسرة : هي الندم والحزن .

وقد سمّى الله ﷻ يوم القيامة بيوم الحسرة ، كما قال تعالى :﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾[مريم : ٣٩] فذلك يوم حسرة؛ وندامة، لكل من فرّط ومن حق عليه العذاب.

وقال : «فَوَيْلٌ وَحَسْرَةٌ .. وَنَارُ جَحِيْمٍ مَا أَشَدَّ نَكَالَهَا».

والنكال : هو العذاب العقوبة.

الجحيم ، قال في «المفردات» :

«الجُحْمَة : شدة تأجج النار، ومنه : الجحيم».[1]

فهي نار جحيم عذابها شديد .

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال : «أَكثِروا ذِكْرَ النّارِ؛ فإنَّ حَرَّها شديدٌ، وإنَّ قَعْرَها بعيدٌ، وإنَّ مَقامِعَها حديدٌ».[2]

(١) المفرادات في غريب القرآن ص (١٨٧) راغب الأصفهاني

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٥٣) والترمذي (٣/ ٧٠٢).

وجاء في حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال رسـول الله ﷺ :
«يُؤْتى بأَنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيا مِن أهْلِ النّارِ يَومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ، هلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللهِ يا رَبِّ،..»[1] هذه الغمسة تنسي جميع النعيم ، وهو من أعظم أهل الدنيا نعيما.

**قال** : «**لَهُمْ تَحْتَهَمْ مِنْهَا مِهَادٌ وَفَوْقَهُمْ .. غَوَاشٍ**»؛ أولئك الذين هم أهل الجنة فرشهم الإستبرق ونحوه .

أما هؤلاء أهل النار ، ففراشهم الجحيم ، وغطاؤهم أيضا مما يزداد به عذابهم، قال تعالى : ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الأعراف : ٤١ ] ففراشهم من جهنم ولحافهم أيضا من جهنم.

**قال** : «**وَمِنْ يَحْمُوْمٍ سَاءَ ظِلَالُهَا**»؛ كما قال تعالى : ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾[الواقعة : ٤١-٤٤]

واليحموم : هو الدخان الشديد السواد.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٨٠٧) و ابن ماجه (٤٣٢١) (٦٢٢)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٣)

وَصَفه : ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾، أي : لا بارد المنزل، ولا حسن المنظر.

قال ﷺ :

طَعَامُهُمُ الغِسْلِيْنَ فِيْهَا وَإِنْ سُقُوا    حَمِيًا بِـهِ الأَمْعَـاءُ كَـانَ انْحِلَاهُـا
أَمَانِيُّهُمْ فِيْـهَا الهَـلَاكُ وَمَـا لَهُمْ    خُرُوْجٌ وَلَا مَوْتٌ كَمَا لَا فَنَـا لَهَا

التعليق

لما ذكر الفراش واللحاف والمأوى؛ ذكر بعد ذلك الطعام، والشراب، أما طعامهم فمن غسلين، قال تعالى : ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة : ٣٥-٣٦] .

قالوا : الغسلين، هو الصديد الذي يخرج من أهل النار، هذا الذي يطعمه أهل النار؛ الصديد الذي يخرج من جروحهم وقروحهم.

قال : «وَإِنْ سُـــقُوا .. حَمِيًا بِهِ الأَمْعَاءُ كَانَ انْحِلَاهُا» قال تعالى : ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد : ١٥] وهو ما أشار إليه النـاظم بقولـه : «كَانَ انْحِلَاهُا»؛ والانحلال بمعنى : الإذابة، كأن الأمعاء تذوب وتُقطّع.

والحميم : الماء الشديد الحرارة.

قال : «أَمَانِيُّهُمْ فِيْـــــهَا الهَلَاكُ وَمَا لَهُمْ .. خُرُوْجٌ وَلَا مَوْتٌ كَمَا لَا فَنَا لَهَا»؛ فما هي الأماني في الآخرة لأهل النار ؟ يتمنون الموت ، يقول

ربنا ﷻ: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧] مالك: هو خازن النار.

وجاء في تفسير هذه الآية: «أنهم طلبوا الموت؛ فأُجيبوا بعد مائة وخمسين سنة: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾».[1]

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**يُؤْتَى بالمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فيُنادِي مُنادٍ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ ويَنْظُرُونَ، فيَقولُ: هلْ تَعْرِفُونَ هذا؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، هذا المَوْتُ، وكُلُّهُمْ قدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنادِي: يا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ ويَنْظُرُونَ، فيَقولُ: هلْ تَعْرِفُونَ هذا؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، هذا المَوْتُ، وكُلُّهُمْ قدْ رَآهُ، فيُذْبَحُ، ثُمَّ يقولُ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ فلا مَوْتَ، ويا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فلا مَوْتَ**».[2]

**والمصنف قال**: «**كَمَا لَا فَنَى لَهَا**» وهذه إشارة لطيفة إلى أن النار لا تفنى؛ وهذا هو الحق، وللصنعاني ﷺ رسالة مفردة في إثبات أن النار لا تفنى، طبعت[3] بتحقيق الإمام المحدث أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني ﷺ.

(١) الدرر المنثور للسيوطي، والآثر عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره البيهقي في البعث والنشور.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠) باختلاف يسير

(٣) عنوانها: «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار».

قال رحمه الله :

مَحَلَّيْنَ قُـلْ لِلـنَّفْسِ لَيْسَ سِوَاهُمَا   لِتَكْسِـبَ أَوْ فَلْتَكْتَسِـبْ مَا بَدَا لَهَا
فَطُوْبَى لِنَفْسٍ جَوَّزَتْ وَتَخَفَّفَتْ   فَتَنْجُوْ كَـفَافًا لَا عَلَيْـهَا وَلَا لَهَا

## التعليق

ختم رحمه الله هذه المنظومة بالتذكير بأنهما محلان؛ لا ثالث لهما.

فالناس في الآخرة ينصرفون بين يدي ربهم عز وجل ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، كما قال ربنا عز وجل :﴿فَرِيقٌ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى : ٧].

وهذا التـــــذكير ؛ بحقارة الدنيا وأنها فانية، وأنها ربما أعمت محبيها حتى أوردتهم موارد الهلاك .

وهذا التذكير بأهل الجنة وبنعيمهم ، وبأهل النار وعذابهم؛ المقصود منه الموعظة، حتى يستعد الإنسان لذلك اليـــوم ، كما قال تعالى : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾[البقرة : ٢٨٦] أي : لتكسب صالحا، أو فلتكتسب قبيحا وسيئا من الأعمال «مَـــا بَـــدَا لَهَا»؛ فإنها ستحاسب.

كما جاء في حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**عِشْ مَا شِئتَ فَإِنَّكَ مَيْتٌ، وَاعْمَل مَا شِئتَ فَإِنَّكَ مَجزِيٌّ بِه**».[1]

**وقوله** : «**فَطُوْبَى لِنَفْسٍ جَوَّزَتْ وَتَخَفَّفَتْ**»؛ طُوبى : على وزن فُعلى من الطِّيب؛ هو إخبار عن طيب هذه النفس، التي تخففت وتجوّزت.

والتخفّف والتّجوّز : هو التقلل من الدنيا بمعنى أنها لم تثقل نفسها بحمل ما ستفارقه وستحاسب عليه كله.

فهي قد عرفت حقيقة الدنيا.

فلم تتعب نفسها في أن تستكثر من جمعها .

ومما تحمله النفس الذنوب؛ وهو أخطرها.

إذًا ؛ فعليك أن تتخفّف من الدنيا ؛

حتى لو جمعت الدنيا فاجعلها في يدك لا في قلبك ،

ولا تمنعها مستحقيها.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٢٧٨) واللفظ له، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٤١)



«**فَتَنْجُوْ كَفَافًا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا**» كان يتمنى ذلك بعض السلف ؛ كما جاء عن عمر رضي الله عنه وعن غيره : «**وَدِدتُ إني نَجوتُ منها كَفَافًا، لَا لي وَلا عليَّ، لَا أتحمّلها حيًّا ولا ميتًا**».[1]

وكان بعض السلف إذا رأى طائرًا يطير من مكان إلى آخر؛ يقول : «ليتني كنت هذا الطائر، فأصابني أحدهم، فشواني وأكلني»، تمنى أن يكون طائرا غير مكلف حتى لا يُحاسب.

(( فنسأل الله عز وجل أن يصلح قلوبنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يوفقنا للإستعداد ليوم المعاد )).

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٣).



✍ تم التفريغ في : ٢٧ من شعبان ١٤٤٤ هـ

كوتاي الغربية – كليمنتان الشرقية

إندونيسيا